
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
مخلب الشيطان
٣٧

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٧

الثمن في مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا في سائر الدول العربية والعالم

مخلب الشيطان

- كيف أوقع (الموساد) برجل مخابرات مصرى داخل أشهر سجون العالم ؟
- لماذا حاول (أدهم صبرى) تحطيم أسطورة سجن (سنج سنج) الشهير ؟
- ترى .. أينجح (رجل المستحيل) في مهمته هذه المرة ، أم يسقط فريسة لمخلب الشيطان ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة لترى .. كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : لعبة المحترفين

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى فى الخامسة والثلاثين من عمره ، يرمز إليه بالرمز (ن — ١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة ، وبراعتــه الفائقــة فى اســتخدام أدوات التنكُّــر و (المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الغواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعدِّدة .

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ لا وقت للراحة ..

تنهّدت النقيب (منى توفيق) فى ارتياح ، وهى تدلف إلى سيارة (أدهم صبرى) ، وتأمّلته فى هدوء وهو يتخذ مقعده أمام عجلة القيادة ، ويدير محرّك السيارة ، ثم قالت فى لهجة تبدو السعادة واضحة فى نبراتها :

ـ لقد كانت أمسية رائعة بالفعل يا (أدهم) .

ابتسم ، وسألها دون أن يلتفت إليها :

ـ هل أعجبتك المسرحية يا عزيزتى ؟

ضحكت فى مرح وهى تقول :

ـ لقد أعجبنى قضاء أمسية طريفة بصحبتك ، دون أن أخشى اختراق رصاصة لرأسى .

ضحك (أدهم) وهو ينطلق بالسيارة ، وقال :

ـ هل تثير صحبتى قلقك إلى هذا الحد ؟

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـــ لعلك لا تنكر ما نتعرّض له من أخطار ، كلما انطلقنا معًا فى واحدة من مهامك المعقّدة خارج (مصر) .

سألها باسمًا :

ـــ وهل فى هذا ما يدهشك ؟

ضحكت وهى تقول :

ـــ هلّا كففْت عن إجابة كل عبارة أنطقها بسؤال جديد ؟

قال فى تخابث :

ـــ هل يضايقك ذلك حقًا ؟

قطّبت حاجبيها الجميلين وهى تتأمّله فى غضب ، ثم لم تلبث أن ضحكت وهى تقول :

ـــ يبدو أنك لن تكفّ عن أسلوبك الساخر هذا .

قبل أن يجيبها (أدهم) انطلق مذياع السيارة فجأة ، وتصاعدت داخلها أنغام البرنامج الموسيقى ،

فزوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وهو يدير عجلة القيادة إلى اليسار ، قائلًا :

ـــ يبدو أن فترة راحتنا قد انتهت يا عزيزتى ، إنهم يطلبوننا فورًا فى الإدارة .

* * *

دقّ (أدهم) باب حجرة مدير المخابرات فى هدوء ، وانتظر حتى جاءه صوته يدعوه للدخول ، فدفع الباب ، ودخل إلى الحجرة ، ثم أغلق الباب خلفه وهو يقول :

ـــ العقيد (أدهم صبرى) فى خدمتك يا سيّدى .

وبرغم أن عقارب الساعة كانت تؤكد أن الوقت قد تجاوز منتصف الليل بكثير ، فقد كان مدير المخابرات يرتدى حُلّته الكاملة ، ويبدو واضح الحيوية والنشاط وهو يشير إلى (أدهم) بالجلوس ، قائلًا :

ـــ اجلس يا (ن ـــ ١) ، هل استدعوك من منزلك أو ... ؟

قاطعه (أدهم) قائلاً :

ـــ بل من سيارتى يا سيدى ، وجهاز الاتصال المثبت بمذياعها يعمل بكفاءة ، وهذا يؤكد براعة رجال المكتب رقم (عشرة) .

ابتسم مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـــ إنها وسيلة بدائية ، ولكنها ناجحة يا (ن ـــ ١) ، فبإشارة لاسلكية بسيطة من هنا ، يعمل مذياع سيارتك فجأة ، أو يصمت فجأة لو أنه يعمل بالفعل ، ويمكنك أن تدعى وجود تلف بالمذياع لو أن أحدًا يصاحبك .

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً :

ـــ هذا صحيح يا سيدى .

صمت مدير المخابرات لحظات ، تشاغل خلالها بترتيب بضع أوراق متناثرة فوق مكتبه ، ولم يحاول (أدهم) كسر الصمت ، بل ظل ساكنًا يترقب الكلمات من شفتى مدير المخابرات ، الذى لم يلبث أن قال :

ـــ هل لديك معلومات كافية عن سجن (سنج سنج) الأمريكى يا (ن ـــ ١) ؟

هز (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـــ كل ما أعلمه عنه هو أنه أكثر سجون العالم مناعة ، ولم ينجح فى الهرب منه منذ إنشائه سوى الساحر الشهير (هارى هوديني) ، وكان ذلك على سبيل التجربة ليس إلا .

مط مدير المخابرات شفتيه ، وصمت لحظة أخرى ثم قال :

ـــ حسنًا يا (ن ـــ ١) ، إننا نطالبك بالتفوق على (هوديني) هذا .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه فى دهشة وتساؤل ، وانتظر إيضاح مدير المخابرات ، الذى لم يلبث أن تابع قائلاً :

ـــ أنت تعلم بالطبع أن لنا رجلاً دائمًا فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنه يمدنا باستمرار بكل ما يقع تحت

يديه من وثائق مفيدة لدولتنا ، وفى الآونة الأخيرة عثر
عميلنا على وثائق تؤكد وجود مخطط معاد يهدف إلى
إساءة العلاقات بيننا وبين الأمريكيين .. ولقد حصل
عميلنا بالفعل على صور واضحة لهذه الوثائق ، وأخفاها
فى خاتم صغير يزين خنصره دومًا ، وقبل أن يرسل لنا
الميكروفيلم ، وقع ضحية خدعة مُحْكمة ، أدّت إلى
اتهامه بالقتل ، وتمت محاكمته بسرعة قبل أن ننجح فى
الحصول على الوثائق ، وصدر الحكم بإدانته ، وأودع
سجن (سنج سنج) مدى الحياة .

غمغم (أدهم) فى دهشة :

ـ يا إلهى !! لابدّ لنا من إنقاذه .

أومأ مدير المخابرات برأسه ، قائلا :

ـ أو على الأقل الحصول على الوثائق أولًا .

قال (أدهم) فى عناد :

ـ لابدّ من إنقاذه يا سيّدى .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

ـ هذا ما نأمله يا (ن ـ ١) ، ولكن ذلك
ليس بالأمر الهيّن . حتى الحصول على الخاتم الذى يخفى
صور الوثائق يعد مستحيلًا .. فالزيارة فى سجن
(سنج سنج) تتم بين حائل زجاجى يفصل السجين
عن زائره ، وحتى الحديث بينهما يتم من خلال هاتف
داخلى ، والقانون يمنع محاكمة رجل على تهمة ما مرتين
ما لم تتوافر أدلة جديدة ، ولا يمكنك حتى مقابلته
كمحام ، فقد تمت محاكمته بالفعل ، إنها باختصار
مهمة مستحيلة يا (ن ـ ١) .

ثم ابتسم وهو يتطلع إليه مستطردًا :

ـ وهذا يعنى أنها مهمة تحتاج إلى (رجل
المستحيل) يا (ن ـ ١) .

نهض (أدهم) فى هدوء ، وقال بلهجة تفيض عزمًا
وحزمًا :

ـ سأعود به إلى هنا يا سيّدى ، بإذن الله .

حاول مدير المخابرات إخفاء ابتسامة إعجاب

أصرّت على الظهور فوق شفتيه ، وهو يقول فى لهجة فشل فى أن يجعلها صارمة كما أراد :

ـ لقد حصلنا لك ولزميلتك على تأشيرتى دخول إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وستغادر طائرتكما القاهرة فى الخامسة صباحًا .

أدّى (أدهم) التحية العسكرية ، واستدار منصرفًا فى صمت ، إلّا أن مدير المخابرات أوقفه ، قائلًا :

ـ (أدهم) .

استدار إليه (أدهم) فى هدوء ، فابتسم ابتسامة مشجعة وهو يقول فى حزم :

ـ وفقكما الله .

ابتسم (أدهم) ابتسامة هادئة ، ثم أغلق الباب خلفه .

* * *

٢ ـ حصن الأساطير ..

كان الهواء قارس البرودة فوق ذلك المرتفع المواجه لسجن (سنج سنج) ، حيث أوقف (أدهم) سيارته ، وضمّت (منى) ياقتى معطفها وهى ترتجف بردًا وانفعالًا ، على حين أخذ (أدهم) يتأمّل السجن الأسطورى من خلال عدسات منظاره المقرّب ، ولم يلبث أن ناوله (منى) وهو يقول فى هدوء :

ـ إنه يبدو كالحصن المنيع بالفعل يا عزيزتى .

تناولت (منى) المنظار المقرّب ، وتطلّعت إلى السجن الشهير ، وأخذت تتأمّله فى اهتمام ..

كان عبارة عن مبنيين ضخمين يفصلهما فناء واسع رحب ، ونوافذهما مدعومة بقضبان حديدية سميكة ، ويحيط بالمبنيين سور مزدوج ، تناثرت فوقه نقاط المراقبة المزوّدة بمصابيح قوية ، ومدافع رشاشة ، ويعلو بارتفاع

خمسة طوابق كاملة ، وبوابة السجن مصنوعة من الصلب المصفّح ، ويبلغ سمك الجدران مترًا كاملًا ، كما توجد أعداد كبيرة من كلاب الحراسة بين جانبى السور المزدوج ، ومركز مراقبة إليكترونى لقياس الذبذبات ، التى تنشأ من محاولة السجين حفر نفق يعبُر من خلاله إلى الحرية ..

أبعدت (منى) المنظار عن عينها ، وقالت فى يأس :

ـــ إنه يحتاج إلى كتيبة من المدرّعات لاقتحامه يا (أدهم) .

أجابها وهو يتأمّل السجن من بعيد :

ـــ إنه مجهّز لصد هجوم بالطائرات يا عزيزتى .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وقالت :

ـــ كيف تتصوّر نجاحنا فى إخراج رجل منه إذن ؟

صمت لحظة مفكّرًا ، ثم ابتسم وهو يقول :

هناك وسيلتان لنجاح مهمتنا يا عزيزتى ، إما أن نجد دليلًا جديدًا يتيح لرجلنا محاكمة عادلة ، وتبرئته ، وهذا يستلزم وقتًا طويلًا للغاية ، قد تضيع معه فائدة الوثائق ، أو أن نهرّب الرجل بوسائل غير قانونية ، وهذا هو الجزء الشاق والضرورى .

مطّت شفتيها وهى تقول :

ـــ أجد كليهما عسيرًا .

هزّ كتفيه وهو يقول :

ـــ ولكننا سنضطر إلى اللُّجوء إلى أحدهما حتمًا ، قبل أن يلقى رجلنا مصرعه .

عقدت حاجبيها ، وهى تسأله فى دهشة :

ـــ مهلًا .. لقد أُلغيت عقوبة الإعدام فى الولايات المتحدة .. أليس كذلك ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ بلى يا عزيزتى ، لقد أُلغيت حكوميًا ، ولكنها لم تلغ من عالم الجاسوسية بعد .

سألته وقد تعاظمت دهشتها :

ـــ ماذا يعنى هذا ؟

التفت إليها ، قائلاً فى هدوء :

ـــ لقد لُفِّقتِ التُّهمةُ لرجلنا ؛ لأنه كشف المخطَّط الصهيونى اللَّعين ياعزيزتى .. ومادامـوا قد نجحوا فى إيداعه السجن ، فلن ينتظروا حتى يمكنه إمدادنا بما لديه من معلومات ، وسيحاولون جاهدين قتله داخل السجن .

غمغمت فى دهشة :

ـــ يا للهول !! هل يصلون إلى هذا الحدّ ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ إنهم يفعلون ماهو أكثر من ذلك ياعزيزتى ، وأراهنك أنهم سيحاولون جعل مصرعه يبدو حادثًا عارضًا .. إنها وسيلتهم المألوفة .

صمتت مفكِّرة ، ثم قالت :

ـــ ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يدير محركات السيارة :

ـــ سنبدأ بأول الخطوات المنطقية ياعزيزتى ، سنذهب لزيارة رجلنا (إميل فارس) أولاً .

* * *

تلقَّى (إميل) نبأ زيارة (أدهم) بمزيج من الدهشة والحَيْرة .. الدهشة لأن (أدهم) قدم لزيارته مستخدمًا اسمه الحقيقى (أدهم صبرى) ، والحَيْرة لأنه لم يفهم سبب هذه الزيارة ، مادام الحصول على الوثائق فى أثنائها مستحيلاً ، ولكنه بالرغم من دهشته وحَيْرته ، ذهب لمقابلة (أدهم) فورًا ، وشعر بالارتياح حينما رأى ابتسامة (أدهم) الواثقة من خلف الحاجز الزجاجى ، فرفع سماعة الهاتف الداخلى ، وحيَّاه فى حرارة ، وسأله بالإنجليزية :

ـــ كيف حالك ياصديقى العزيز ؟.. هل أتيت وحدك ؟

أجابه (أدهم) بالعربية :

إن إخراجى من هنا يبدو مستحيلا يا صديقى ،
هل رأيت إجراءات الأمن التى يتبعونها ؟

ــ تحدَّث العربية يا صديقى ، فهى لغة صعبة غير مفهومة هؤلاء الحراس الأمريكيين .

قال (إميل) بالعربية :

ــ قدومك شخصيًّا يعنى محاولة تهريبى .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) بإيماءة موافقة من رأسه ، وقال :

ــ أنت أولًا ، والمستندات ثانيًا يا صديقى .

اختلس (إميل) النظر إلى الحارس الأمريكى الذى يرمقهما بانتباه مبالغ فيه ، وقال :

ــ إن إخراجى من هنا يبدو مستحيلًا يا صديقى ، هل رأيت إجراءات الأمن التى يتبعونها ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ــ لا يوجد جهاز أمن خالٍ من الثغرات يا صديقى .

أشرق وجه (إميل) بالأمل ، وهو يهتف :

ــ هل عثرت على وسيلة للخــروج من هنــا يا (أدهم) ؟

تحوّلت ابتسامة (أدهم) إلى الغموض ، وهو يقول :

ــ أعتقد أن الدخول أكثر أمنًا يا صديقي .

نظر إليه (إميل) فى دهشة ، وسأله :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء وغموض :

ــ دعْك مما أعنيه يا صديقي ، ونفّذ ما أطلبه منك بالحرف الواحد ، ولن أطلب منك الكثير .. فقط عليك الاختباء أسفل فراشك اعتبارًا من التاسعة مساء اليوم .

ضاقت عينا (إميل) ، وازدادت ملامحه دهشةً وحيرةً وهو يسأله :

ــ ماذا تقصد بذلك ؟

قال (أدهم) :

ــ دَعْ ما أقصده يا صديقي .. المهم أن تنفّذ ما آمرك به ، وأذل أغطية الفراش ، حتى لا يبدو منك شىء وأنت تختبئ تحته .

حاول (إميل) أن يبحث عن سبب منطقى يعلل طلب (أدهم) ، ثم هزّ رأسه بمزيد من الحَيْرة ، وقال :

ــ كم من الوقت ينبغى أن أظل كذلك ؟

ابتسم (أدهم) بمزيد من الغموض وهو ينهض ، قائلًا :

ــ كن صبورًا يا صديقى ، وسينتهى كل شىء على ما يرام .

انصرف (أدهم) أمام نظرات (إميل) الحَيْرَى ، ولم يلبث هذا الأخير أن هزّ رأسه ، وهو ينهض عائدًا إلى زنزانته ، واستغرق فى محاولة فهم مايرمى إليـه (أدهم) ، حتى أنه لم ينتبه إلى أن حارسه ظل يتأمل (أدهم) فى أثناء انصرافه ، وفوق شفتيه ارتسمت ابتسامة تجمع ما بين الخبث والظفر ، ولم يكد يعود (إميل) إلى زنزانته ، حتى أسرع إلى الهاتف ، وطلب رقمًا خاصًا ، وانتظر حتى أتاه صوت محدّثه ، فقال فى لهفة :

ـــ أريد أن أتحدث إلى السيدة (سونيا جراهام) شخصيًا .

ثم أردف عبارته بصفير منغوم له مغزى خاص ، ولم تكد تمضي لحظات ، حتى تناهى إلى مسامعه صوت بالغ الرقة يسأله :

ـــ من المتحدث ؟

أجاب في حماس واهتمام :

ـــ إنه أنا (كارل فريدمان) ياسيدى ، حارس (سنج سنج) .

ساد الصمت لحظة ، ثم عاد صوت (سونيا جراهام) أفعى الموساد ، وهي تقول :

ـــ ماذا لديك يا (كارل) ؟

أجابها وهو يداعب المسدس المعلق في حزامه :

ـــ إنه خبر يساوى مليون دولار على الأقل .. خمني من أتى اليوم لزيارة (إميل فارس) ؟ إنه شيطان المخابرات المصرية (أدهم صبرى) .

* * *

٣ ـــ الموت في كاليفورنيا ..

ظهر الغضب على وجه (منى) ، وضغطت أسنانها في قوة ، حتى لقد خشي (أدهم) أن تحطمها ، وانطلقت الكلمات من بين شفتيها صارخة حادة ، وهي تقول :

ـــ كلا .. لقد تحملت الكثير من قبل . ولكنني أرفض كل كلمة نطقت بها الآن ، إنه الجنون بعينه .

نظر (أدهم) إليها في دهشة ، ثم ضحك في سخرية وهو يقول :

ـــ ماذا أصابك أيتها النقيب ؟.. هل نسيت فارق الرتب ؟

ضربت الأرض بقدميها في عناد كالأطفال ، وهي تقول :

ـــ يمكنك أن تحاكمني عسكريًا ، ولكنني سأبذل

كل ما أستطيع من جهد ، لمنعك من الإقدام على ذلك العمل الأخرق الذى تنويه .

انطلق (أدهم) يضحك فى سخرية ، على حين صرخت هى بكلمات غاضبة ، ثم احتبست الكلمات فى حلقها ، وانهارت على أقرب مقعد إليها ، وانخرطت فى بكاء حاد ، فاقترب منها (أدهم) ، وربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ ليس الأمر بالبشاعة التى تتصوَّرينها يا عزيزتى .

قالت من خلال عبراتها :

ــ إنك ستقتلنى يومًا من شدة خوفى عليك .

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتيه ، وظهر انفعال عاطفى فى مقلتيه ، وهو يقول فى صوت أقرب إلى الهمس :

ــ يا إلهى !! إننى لم أحظ بفرصة أكثر مناسبة من هذه .

ثم أدارها إليه ، وأمسك كتفيها بكفيه ، ونظر فى عينيها مباشرة ، وهو يقول هامسًا:

ــ هل تقبليننى زوجًا لك يا عزيزتى (منى) ؟

اتسعت عينا (منى) عن آخرهما ، وشعر (أدهم) بالدهشة ، فلم تكن عيناها تحملان من الدهشة بقدر ما فيهما من الرُّعب ، كما لم تكن تنظر إليه ، وإنما إلى باب الحجرة خلفه ، وتوتَّرت أعصاب (أدهم) ، وانقبضت عضلاته فى قوة ، ثم استدار فى حدَّة إلى حيث تنظر (منى) ، ولقد اعترف فيما بعد أن تلك اللحظة قد أصابته بدهشة عارمة ، فقد وقع بصره على شيطانة (الموساد) الشهيرة (سونيا جراهام) ، وهى تقف وسط أربعة رجال أشداء ، يصوِّبون إليه فوَّهات مسدساتهم القوية ، وكانت تلك الشيطانة تبتسم فى سخرية وشماتة ، وهى تقول :

ــ معذرة .. هل قاطعت موقفًا غراميًا تتحطَّم له القلوب ؟

* * *

لا يمكن لأعظم طيب نفسى ، أن يضع مشاعر

(سونيا جراهام) فى تلك اللحظة تحت أى اسم أو مصطلح طبى نفسى معروف ، فلقد كان فى أعماقها إعصار من المشاعر والعواطف المتناقضة ، فقد كانت تشعر بسعادة بالغة من جرّاء انتصارها على (أدهـــم صبرى) ، ونجاحها فى التوصّل إلى المكان الذى يختبئ فيه ، وبخوف شديد من مواجهتها للشيطان المصرى ، الذى طالما حطّم أنفها ، وتجاهل فتنتها الطاغية ، وكبّدها الهزيمة تلْو الأخرى ، وبمزيج من الشماتة والظفر ، وهى ترى (أدهم صبرى) عاجزًا أمامها وأمام رجالها ، ولكن هناك فى أعماق قلبها ، وفى ركن خفىّ من ثنايا مشاعرها ، كان شعور عجزت عن كتمانه ، شعور بالغيرة من الفتاة التى طلب (أدهم) زواجها ، كان هذا الشعور بالذات يثير الحنق والارتباك فى نفسها ، فهو يحطّم الحاجز النفسى من الكراهية ، الذى صنعته بينها وبين (أدهم) ، ويسيطر على أصابعها حينما تصوِّب إليه مسدسها ، فتجد نفسها متردِّدة قبل أن

تضغط الزِّناد ، هذا الشعور بالذات هو الذى دفعها إلى التحدُّث فى خشونة ، وهى تقول :

ـ هل أدهشتك رؤيتى يا مستر (أدهم) ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، أعادت إليها كراهيتها ، قبل أن يقول :

ـ إن رؤيتك لا تثير دهشتى مطلقًا يا عزيزتى (سونيا) ، وإنما تؤكد لى أننى سأبذل جهدًا مضاعفًا للانتصار كالعادة .

أغضبتها عبارته الساخرة ، حتى أنها زوت ما بين حاجبيها الجميلين ، وحدجته بنظرة نارية من عينين ساحرتين ، حينما صاحت (منى) ، وقد زايلتها الدهشة :

ـ يا إلهى !! لقد ظننت أنك لقيت حتفك فى (تيرور) [*] .

رفعت (سونيا) أحد حاجبيها ، وهى تقول :

* راجع قصة (مارد الغضب) .. المغامرة رقم ٣٤

— ليس من السهل القضاء على فتاة مثل أيتها المصرية .

ظهر الغضب على وجه (منـــى) ، فأسرع (أدهم) يدير دفة الحديث بعيدًا ، قائلاً :

— كيف نجحت فى الوصول إلينا يا (سونيا) ؟

ابتسمت (سونيا) فى ظفر ، وقالت :

— لقد أخبرنى رجالى فى (سنج سنج) ، أنك قد ذهبت اليوم لزيارة (إميل فارس) ، ولقد تخليت عن حذرك المعهود حينما ذهبت دون تنكر ، واستخدمت إسمك الأصلى ، وحتى سيارتك تركتها أمام هذا المنزل ، ولم يكن أمامى سوى البحث عن مستأجر السيارة والعثور على مكانه ، وهذا لا يستغرق طويلاً فى بلد يعبد المال مثل الولايات المتحدة .. لقد كان الأمر أسهل مما كنت أتصور بكثير .

ابتسم (أدهم) فى خبث ، وهو يقول :

— ألم يثر هذا الشكوك فى نفسك يا عزيزتى (سونيا) ؟

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وبدأ الشك يجد طريقه إلى قلبها ، وهى تقول :

— ماذا تقصد يا مستر (أدهم) ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

— ألمْ تتصوّرى مع كل هذا الوضوح الذى أعمل به ، أننى أعدّ لك فخًا ؟ أو أننى أحاول جذب المسئولين عن موقف رجلنا إلى مكانى ، بدلاً من أن أبحث أنا عنهم ؟

احتقن وجه (سونيا) غضبًا ، وصرخت :

— أيها الوغد .

ثم اندفعت نحو (أدهم) وهوت على وجهه براحتها فى صفعة قوية .

* * *

قبل أن تمسّ راحة (سونيا) وجه (أدهم) تحركت أطرافه ، لتؤكد تلك الموهبة التى لا يباريه فيها مخلوق

آخر على وجه الأرض ، والتى استحق من أجلها لقب (رجل المستحيل) ، ألا وهى سرعة استجابته المذهلة للمؤثرات الخارجية ..

لقد رفع (أدهم) كفّه فى سرعة خرافية ، والتقط معصم (سونيا) ثم أداره فى مهارة وحنكة ، بحيث لوى ذراعها خلف ظهرها ، غير مبالٍ بصرخة الألم والدهشة التى انطلقت من بين شفتيها .. وقبل أن تبدر من أحد رجالها بادرة واحدة ، وحتى قبل أن تستوعب عقولهم ما حدث ، اندفع (أدهم) بصيده نحوهم ، وارتطمت (سونيا) مكرهة برجالها الذين عجزوا عن إطلاق النار ، و (أدهم) يتخذ رئيستهم درعًا ، ولم يمهلهم (أدهم) حتى يستردُّوا اتزانهم ، بل تحرّكت أطرافه فى سرعة ودقّة ومرونة ، دون أن يترك معصم (سونيا) ، فركل أحد رجالها فى وجهه محطّمًا أنفه ، وركل الثانى فى معدته فدارت به الحجرة ، ولكم الثالث فى فكّه فهشمها ، ثم عاد يركل الرابع ليكسر عنقه ، ويلكم

الثانى ، فينتهى الصراع قبل أن تمضى دقيقة واحدة على بدايته .

صرخت (سونيا) فى غضب جنونى ، حينما شاهدت رجالها يتساقطون كالذباب أمام قبضة (أدهم) اليسرى وقدميه ، وصاحت وهى تبكى قهرًا :

ــ لن تهزمنى مرة أخرى أيها الشيطان .

شدّد (أدهم) قبضته على معصمها ، وهو يقول ساخرًا :

ــ لقد حدث بالفعل يا عزيزتى (سونيا) .

صرخت فى غضب :

ــ إنك لم تنتصر بعد ، سيقتل رجالى (إميل فارس) مع أول نسمات الفجر .

توقّف (أدهم) فجأة ، وتبادل نظرات ذات معنى مع (منى) ، وعضّت (سونيا) شفتيها فى قهر ، حينما تبيّنت أنها قد كشفت خطّتها فى غمرة الغضب ، على

حين جذبها (أدهم) إلى مقعد قريب ، وهو يقول فى لهجة بدت قاسية :

ــ لو أن رجلاً هو الذى قال ذلك ، لهشمت أنفه يا (سونيا) ، ولأجبرته على الاعتراف بكل التفاصيل .. ولكننى أعلم أن عنادك يفوق الخوف فى نفسك ، وأنك تفضلين الموت على الاعتراف بالهزيمة .

قاومت (سونيا) (أدهم) وهو يقيدها فى إحكام إلى المقعد ، مواصلاً حديثه فى هدوء :

ــ ولكننى أؤكد لك أن خطتك ستفشل .

قالت (سونيا) فى حدة :

ــ إننى أتحداك أن تفشل هذه الخطة .

تجاهل (أدهم) عبارتها ، وقذف أحد المسدسات إلى (منى) ، قائلاً :

ــ قيديهم جميعًا يا عزيزتى ، ثم غادرى المنزل إلى الوكر رقم (اثنين) .

قالت (منى) فى قلق :

ــ أمازلت مصرًا على الخطة التى وضعتها ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى إصرار ، فصرخت (سونيا) :

ــ إن الهرب من (منج سنج) هو المستحيل بعينه .

تألقت عينا (أدهم) ببريق العزم ، وهو يقول فى لهجة غامضة ، أثارت رعب (سونيا) :

ــ ولكن الدخول إليه ليس كذلك أيتها الأفعى .

* * *



قاومت (سونيا) (أدهم) وهو يقيدها فى إحكام ..

٤ ــ السجين (٦١٢) ..

انطلقت صفارات الإنذار تشق سكون ليل (سنج سنج) ، واختلط صوتها المزعج بنباح عشرات الكلاب الوحشية ، وطلقات نارية تطلق فى الهواء ، وتركزت أضواء الكشافات القوية على رجل وقف يرتعد ، رافعًا ذراعيه ، معلنًا استسلامه فوق السور الخارجى للسجن ، وكان الرجل يرتدى الزى الرمادى المميز للمساجين .. ولقد بدا مرتبكًا مذعورًا حينما أحاط به الحراس ، وصوبوا إليه مسدساتهم ، ومدافعهم الرشاشة ، وهم يمنعون الكلاب الوحشية من مهاجمته فى صعوبة ، وأسرع أحدهم يتفرس فى ملامح الرجل ، ثم صاح فى دهشة :

ــ يا إلهى !! إنه السجين (٦١٢) ، ذلك المصرى (إميل فارس) .

ولكزه فى كتفه ، وهو يسأله غاضبًا :

ــ كيف نجحت فى الوصول إلى هنا أيها الرجل ؟

أشار (إميل) إلى الكلاب المتوحشة التى سال الزبد بين شدقيها ، والتمعت به أنيابها الحادة ، وقال :

ــ أعِدنى إلى زنزانتى أولاً ، ثم أقص عليك كل ما تريد .

دفعه الحارس بماسورة بندقيته فى قسوة ، وهو يقول :

ــ ستذهب أولاً إلى قائد السجنْ ، لا ريب أنه يتلهّف لسماع قصتك .

* * *

ارتسمت صورة واضحة للذهول على وجه قائد السجن ، وهو يحدّق فى الرقم المطبوع على جيب سترة السجين ، وامتدت أصابعه مرتجفة إلى الهاتف الداخلى ، ورفع سماعته إلى أذنه ، وقال دون أن يرفع عينيه عن وجه (إميل) :

ــ أرسل لى حارس الزنزانة (٦١٢) ، أريده فى مكتبى فورًا .

ثم أعاد السمّاعة ، وتطلّع إلى (إميل) صامتًا بضع لحظات ، ثم سأله فى صوت حاول أن يصبغه بالهدوء والرصانة :

ــ كيف أمكنك الوصول إلى سور السجن يا سيّد (إميل) ؟

ابتسم (إميل) وهو يقول :

ــ هذا سرّ المهنة يا سيّدى .

انفجر قائد السجن فجأة ، صارخًا :

ــ سرّ المهنة ؟!! ستخبرنى كيف فعلت ذلك ، وإلا حطّمت أسنانك واحدة بعد الأخرى ، إنك تهدد مستقبلى بعملك هذا .

لم تهتز ابتسامة (إميل) قيد أنمُلة ، على حين أسرع حارسه يهدئ قائد السجن ، قائلاً :

ــ اهدأ يا سيّدى ، إنه ....

قاطعه قائد السجن ، صارخا :

ـــ أتطلب منّى أن أهدأ ، ألمْ تستوعب بعد مانجح هذا الشيطان فى فعله ؟.. لقد فتح قفلًا إليكترونيًا يغلق باب زنزانته ، وغادرها إلى ممرٍّ يراقبه أحد حراسنا طوال الوقت ، وتجاوز ثلاث بوابات إليكترونية أخرى فى الممرّات ، حتى وصل إلى الفناء ، ثم ضلّل مصابيحنا الكاشفة ، وعَبَر ما يزيد على مائتى متر حتى وصل إلى السور الخارجى ، كل هذا فى العراء ، وتحت ضوء المصابيح ، بل الأدهى أنه تسلّق السور بالفعل ، وكاد يهبط من الناحية الأخرى لو لم يسقط أرضًا ، ويصدر عنه ذلك الصوت الذى نبّهكم إلى وجوده ، وهذا يعنى إهمالًا جسيمًا من القائمين على الحراسة ، إهمال يكفى لضم الحراس إلى قائمة النزلاء هنا .

شحب وجه الحارس ، ولاذ بالصمت ، على حين عاد القائد يلتفت إلى (إميل) ، ويسأله فى حدّة :

ـــ كيف فعلت هذا أيها الرجل ؟

ظلت ابتسامة (إميل) ثابتة هادئة ، فى نفس اللحظة التى دخل فيها حارسه ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، قائلا :

ـــ جندى الحراسة (كارل فريدمان) فى خدمتك يا سيد ....

وفجأة .. بتر الجندى عبارته ، وتدلّت فكّه السفلى فى شكل أقرب إلى البلاهة ، واتسعت عيناه فى ذهول وهو يحدّق فى وجه (إميل) ، الذى ظل باسمًا هادئا ، وأشار إليه (كارل) بأصابع مرتجفة ، صائحا :

ـــ يا للشيطان ؟!!.. كيف وصلت إلى هنا ؟

صرخ قائد السجن فى وجهه :

ـــ هذا السؤال أوجّهه أنا إليك أيها الغبىّ .

صاح (كارل) فى ذهول :

ـــ لقد .. لقد أودعته زنزانته بنفسى فى الثامنة والنصف كالعادة يا سيّدى ، ولم أتوقف عن مراقبة

المكان منذ ذلك الحين ، ولابدَّ له أن يختفى عن الأنظار ليغادر زنزانته يا سيِّدى ، و ....

قاطعه مدير السجن ، صارخًا فى غضب :

ـــ إذن فـ (إميل فارس) لم يغادر زنزانته ؟!.. من يكون هذا إذن ؟

أُرتج على الجندى ، ولم يجد ما يجيب به غضب قائده ، فلاذ بالصمت ، وهو يحدِّق فى ملامح (إميل) مذهولًا ، وقال قائد السجن فى صرامة :

ـــ إننى أتهمك بمعاونة السجين على محاولة الهرب أيها الجندى ، سنلقى القبض عليك ، وسيعيِّن (شارل) لحراسة الطابق السادس بدلًا منك .

شحب وجه (كارل) ، وهو يقول :

ـــ ولكن يا سيِّدى ....

قاطعه قائد السجن بإشارة من يده ، فأسرع رجلان يقتادانه إلى حيث يتم حجزه ، ثم التفت قائد السجن إلى (إميل) ، وعاد يسأله فى لهجة أكثر ليونة :

ـــ ألن تخبرنى كيف نجحت فى الوصول إلى أسوار السجن ؟

أجابه (إميل) فى هدوء :

ـــ ربما فى الصباح يا سيِّدى ، فأنا أشعر برغبة شديدة فى النوم .

ظهر الغضب على وجه قائد السجن ، ولكنه كظم غيظه ، وأشار إلى أحد الحراس قائلًا :

ـــ عُدْ به إلى زنزانته يا (ساند) .

ثم عاد غضبه يتفجَّر فجأة ، وهو يصرخ مستطردًا :

ـــ ولكننى أريده أمام مكتبى فى السابعة من صباح الغد ، فأنا أنوى عصره عصرًا ، حتى آخر قطرة لديه من المعلومات .

* * *

سار (إميل فارس) فى استسلام أمام حارسه عَبْر فناء السجن الواسع ، الذى حوَّلته الكشافات القوية

إلى ما يشبه ضوء النهار ، ثم توقف الاثنان أمام بوابة المبنى الأيسر ، حيث قدم الحارس بطاقة مغناطيسية ، دسها حارس البوابة فى جهاز له تجويف رفيع مستطيل ، ثم عاد يناولها للحارس الأول ، ويفتح البوابة الإليكترونية ..

واستقل (إميل) وحارسه مصعدًا ضخمًا إلى الطابق السادس ، ولم تكد عينا حارس المراقبة فى ذلك الطابق تقعان على وجه (إميل) ، حتى سقطت فكه بدوره ، وصاح :

— يا إلهى !! كيف وصل هذا الرجل إلى الخارج ؟.. لقد شاهدته بنفسى يدخل زنزانته وأين (كارل) ؟

أجابه الحارس فى خشونة :

— لقد أُلقى القبض على (كارل) ، وسأحل أنا محله ، وعليك أن تصحبنى إلى الزنزانة (٦١٢) ، لإيداع هذا السجين .

هزَّ حارس المراقبة رأسه فى حيرة بالغة ، وقادهما فى هدوء إلى الزنزانة المنشودة ، وهو يختلس النظر فى دهشة إلى وجه (إميل) ، وأمام الزنزانة عاد حارس المراقبة يفغر فاه بمزيد من الذهول ، ثم انقضَّ على القفل الإليكترونى يفحصه فى اهتمام ، ولم يلبث أن قال فى حنق :

— الزنزانة خالية ، والقفل سليم لم يمس .

واستدار فى غضب يجذب (إميل) من سترته ، صائحًا :

— خبِّرنى بحق الشيطان .. كيف تسللت خارجًا ؟ تحولت إلى بعوضة ؟

ابتسم (إميل) فى سخرية ، وهو يقول :

— بل تنكَّرت فى هيئة هواء الغرفة أيها الأحمق .

احتقن وجه حارس المراقبة غضبًا ، ثم دسَّ مفتاحًا أسطوانيًا صغيرًا فى ثقب القفل الإليكترونى ، وأداره نصف دورة ، وفتح باب الزنزانة ، ودفع (إميل)

داخلها فى خشونة ، ثم أغلقها خلفه فى عنف ، وقال غاضبًا :

ــ سأعلمك كيف تتحدث بلهجة أكثر تهذيبًا فى المرة القادمة .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (إميل) ، وانتظر حتى ابتعد الحارسان ، ثم يمّم وجهه شطر الفراش الصغير فى ركن الزنزانة ، وتبدّلت نبرات صوته على نحو عجيب ، وهو يهمس بالعربية :

ــ آن للنسور أن تغادر أوكارها .

وفى هدوء .. تحرّك طرف الغطاء الذى يخفى أسفل الفراش ، وخرج من أسفله رجل هو صورة بالكربون للرجل الواقف فى منتصف الزنزانة ، وقال وهو يحدّق فى وجه شبيهه فى ذهول :

ــ يا إلهى !! إننى لم أتصوّر براعتك فى التنكّر إلى هذا الحدّ يا سيادة العقيد ، أنا نفسى لا يمكننى التفريق بيننا .

ابتسم (أدهم صبرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ كيف حالك يا صديقى ؟

* * *



٥ ــ اثنان فى واحد ..

جلس (إميل) الحقيقى يتأمَّل (أدهم صبرى) المتنكِّر فى هيئته بضع لحظات فى ذهول ، ثم سأله :

ــ كيف نجحت فى الوصول إلى هنا يا سيادة العقيد ؟.. لقد حقَّقت المستحيل .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال فى بساطة :

ــ لقد كان الأمر أبسط مما تظن كثيرًا يا صديقى ؛ لقد استغللت عامل المفاجأة ، وشعور هؤلاء الأوغاد بقوة وحصانة هذا السجن .

غمغم (إميل) فى دهشة :

ــ عامل المفاجأة ؟!

وافقه (أدهم) بإيماءة من رأسه ، ثم استطرد :

ــ إن أبصار الجميع وانتباههم يرتكزان دومًا على داخل السجن لا خارجه ، فهم ينتظرون أن يحاول أحد

المساجين الهرب منه ، لا أن يُعِدّ شخص خطة كاملة للدخول إليه .. وهم فى الوقت نفسه يشعرون بالاطمئنان لوسائل الأمن الأسطورية فى (منج سنج) ، حتى أنهم يتصوَّرون محاولة الهرب منه ضربًا من الجنون ، وهكذا تسلَّقت أنا السور الخارجى للسجن حتى وصلت إلى أعلاه ، وهناك أحدثت صوتًا عاليًا لأنبِّههم إلى وجودى .. وما أن اندفعوا يطوِّقوننى ، حتى مثَّلت دورى جيدًا ، كسجين فشل فى محاولة الهرب ، وبالطبع خدعهم الزِّى الرمادى المميَّز للسجن ؛ حينما وقعت أبصارهم عليه ، وخدعتهم أيضًا ملامحى التنكُّرية التى تشبهك تمامًا ؛ حتى أن أحدهم لم يتصوَّر أننى أتيت من الخارج ، بل تفجَّر ذهولهم وهم يحاولون فهم كيفية وصولى من الزنزانة إلى هذه النقطة .

غمغم (إميل) :

ــ لهذا طلبت منِّى الاختباء أسفل الفراش ؟!

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— نعم يا صديقى، فحينما يصل خبر مذهل كنجاحك فى الوصول إلى السور الخارجى، وإلقاء القبض عليك هناك، سيكتفون بإلقاء نظرة سريعة على الزنزانة التى ستبدو لهم — حينئذ — خالية .. وبدلًا من تفتيشها، سيهرعون لرؤية الرجل الذى نجح فى التسلل تحت أسماعهم وأبصارهم، سيثير ذلك حيرتهم إلى حد يمنعهم من التفكير على نحو جيِّد، هذا هو عامل المفاجأة يا صديقى .

هزَّ (إميل) رأسه فى حَيْرة، وقال :

— ولكن هذا يزيد الأمر تعقيدًا يا سيِّدى .. فهروب رجلين أكثر صعوبة من فرار رجل واحد .

ابتسم (أدهم) وهو يقول :

— سنستغل عامل المفاجأة الثانى يا صديقى، وهو وجود رجلين فى إطار واحد، أو رجل واحد فى جسدين، أعنى وجودنا معًا على نفس الهيئة تمامًا .

ثم مدَّ يده إلى (إميل) مستطردًا :

— المهم الآن أن تعطينى الخاتم الذى يحوى الوثائق، فسأطمئن أكثر لوجوده فى إصبعى .

نظر إليه (إميل) فى دهشة، وقال :

— ولكن الخاتم ليس معى .

اتسعت عينا (أدهم)، وهو يقول :

— ليس معك ؟! .. أين هو إذن ؟

قال (إميل) فى يأس :

— فى غرفة الأمانات بالسجن .. ألم تلحظ عدم وجوده فى يدى حينما زُرتنى ؟

ظهر الغضب على وجه (أدهم)، وهو يقول :

— لقد ظننت أنك تحتفظ به فى مكان أمين و ....

وفجأة .. برقت عينا (أدهم) وهو يغمغم :

— يا إلٰهى !! (سونيا جراهام) .

ثم استدار إلى (إميل)، وأمسك كتفيه براحته، قائلًا فى حزم :

— لابدّ لنا من مغادرة هذا المكان المقيت قبل الفجر يا (إميل) ، لابدّ لنا أن نفعل ذلك وإلّا طارت (سونيا جراهام) والوثائق .

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى تمام الثانية صباحًا ، عندما نجحت (سونيا جراهام) فى التخلّص من قيودها ، وأسرعت تعاون رجالها على حلّ قيودهم ، ثم نظرت إلى ساعتها ، وقالت فى غيظ :

— لقد أضعنا وقتًا طويلًا .. لقد سبقنا هذا الشيطان المصرى بثلاث ساعات .

سألها أحد رجالها :

— وماذا يمكنه أن يفعل فى مثل هذا الوقت المتأخر ؟

قطّبت حاجبيها ، وهى تقول :

— لا يمكنك أن تتنبأ بما يمكن أن يفعله رجل مثل (أدهم صبرى) ، ولكنه سيفعل شيئًا يفسد تدبيرنا ولا شك .

عاد الرجل يسألها :

— ولكن يا سيّدتى ، ألا يحتمل أنه ..... ؟

قاطعته فى حدّة ، وهى تقول :

— أصمت أيها الغبىّ ، إنك تمنعنى من التفكير .

لاذ الرجال الأربعة بالصمت ، على حين أخذت هى تفكّر فى صوت مسموع ، قائلةً :

— إن خطّة (أدهم صبرى) ستفوق كل تصوُّر كالعادة ، وتعتمد دائمًا على عامل المفاجأة ، وهو يحسن استغلال مواهبه إلى أقصى حد .

صمتت لحظات ، وقد انعقد حاجباها دلالة على التفكير العميق ، ثم غمغمت :

— لقد ذكر شيئًا عن دخول (سنج سنج) و ....

وفجأة .. برقت عيناها ببريق وحشى ، وهى تهتف :

— يا للشيطان !! .. هذا الرجل داهية بحقّ .

وتملّكها حماس مفاجئ ، وهى تخرج من جيبها

خاتمًا أنيقًا تقذف به عاليًا ، ثم تعود ، فتلتقطه بين أصابعها الرقيقة ، وهى تقول ضاحكة :

— لقد ألقى نفسه فى فم الأسد دون جدوى ، فهو لا يدرى أننا حصلنا على ما نبتغى بالفعل .

أخذت تتأمّل خاتم (إميل) وهى تقلّبه بين أصابعها ، ثم ضغطت ياقوتته فى رقة ، فانفتح فصّ الخاتم ، كاشفًا تجويفًا أسطوانيًا صغيرًا ، استقر فيه ميكروفيلم دقيق للغاية ، التقطته بأطراف أظفارها وهى تبتسم فى ظفر ، فقال أحد رجالها :

— لِمَ لا نعدم هذا الميكروفيلم ، وتنتهى المهمة .

هزّت رأسها نفيًا ، وهى تبتسم قائلةً :

— هذا هو دليل النصر أيها الغبىّ ، سأحمله معى إلى مقر قيادة (الموساد) .. ولكن بقى أمامنا عمل أشد أهميّة وخطورة من الحصول على الوثائق .

وقبل أن يسألها أحدهم عمّا تعنيه ، أردفت قائلةً :

— لابُدّ من تدمير (أدهم صبرى) وصاحبه فى (سنج سنج) .

قالت عبارتها وتوجّهت إلى الهاتف ، وهى تنزع من رقبتها سلسلة ذهبية تنتهى بمخلب برونزى كبير ، وأدارت المخلب حول قاعدته الذهبية ، فانفصل ، وأودعت الميكروفيلم تجويف المخلب ، ثم أعادته إلى قاعدته ، وعادت ترتدى السلسلة الذهبية حول رقبتها ، ورفعت سمّاعة الهاتف ، فبادرها أحد رجالها بالسؤال قائلاً :

— ماذا ستفعلين أيتها الزعيمة ؟

ابتسمت فى خبث وهى تدير رقمًا طويلًا ، وتقول :
ــ سأتحدث قليلًا مع قائد سجن (سنج سنج) ،
وأراهنكم أن حديثى سيطير ما تبقى من نوم فى عينيه .

★ ★ ★

٦ ــ خلف حائط من الفولاذ ..

تثاءب (شارل) جندى الحراسة ، الذى حل محل (كارل فريدمان) ، لحراسة الطابق السادس ، وتطلّع ببصره إلى الساعة الكبيرة المعلّقة أمامه على الحائط ، وتململ فى جلسته ، ثم عاد يفرك عينيه للمرة العشرين منذ جلوسه فى هذا الطابق ...

كان قد قضى نهارًا شاقًّا ، ولم يكن مستعدًّا للسّهر فى نوبة حراسة ، لولا ما حدث من شأن السجين (٦١٢) ، والذى أجبره على الحلول محل (كارل) ..

فكّر لحظة فى الدوران حول زاوية الممرّ ، الذى تطل عليه غرف السجناء ، حتى يمكنه رؤية حارس مراقبة الطابق ، ويأنس بوجوده ، ولكنه عاد يطرد هذه الفكرة من رأسه تمامًا ، خشية أن يُتهم بإهمال الحراسة ، خاصّة بعد ما حدث فى بداية الليل ..

وفجأة .. تنبهت حواس (شارل) ، حينما سمع صوتًا يقول فى خفوت :

ــ إلىّ أيها الحارس قبل أن أصاب بالجنون .

هبّ (شارل) على نحو غريزىّ ، واندفع نحو مصدر الصوت ، دون أن يفكّر فيما سمعه ، وكان مصدر الصوت هو زنزانة (إميل فارس) ، وبداخلها وقع بصر (شارل) على (أدهم) المتنكّر فى هيئة (إميل) يقف ساكنًا هادئًا ، وذراعاه إلى جواره كالتمثال ، فسأله (شارل) فى خشونة :

ــ ماذا أصابك ؟.. لِمَ ناديتنى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مثير :

ــ أعتقد أننى أصبت بالإسكيزوفرانيا .

عقد (شارل) حاجبيه ، وهو يسأله فى مزيج من الدهشة والحِدَّة :

ــ ماذا تقول ؟

أجابه (أدهم) بنفس الهدوء :

ــ انقسام الشخصية أيُّها الحارس ، لقد تحوّلت إلى شخصيتين .

ظهر الغضب على وجه (شارل) ، وقال :

ــ هل تمزح أيها السجين ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ألا تصدّقنى أيُّها الحارس .

ولم يكد (أدهم) يتم عبارته ، حتى سقطت الفك السفلى للحارس المسكين ، وبرزت عيناه فى نظرة مذهولة ، فقد رأى ظلًّا يتحرّك من خلف (أدهم) ، وينفصل ، لم يكن ظلًّا بالمعنى المعروف ، ولكنه كان نسخة طبق الأصل من (أدهم) ، أو هما فى الواقع صورتان متطابقتان من (إميل فارس) ....

فعل (شارل) تمامًا كما توقّع (أدهم) ، فقد فرك عينيه ؛ ليتأكّد من أنه لا يحلم ، ثم اقترب من قضبان الزنزانة ، حتى كاد يلصق أنفه بها ، فى محاولة للتأكّد من أنه لا يهزأ به ، ورآهما فى وضوح يقفان جنبًا إلى جنب



جذبته ذراع فولاذية من سترته ، فارتطم بالقضبان في صوت مكتوم ..

كصورتين في مرآة ، ثم لمح إحدى الصورتين تتحرّك بغتة وتندفع نحوه ، وقبل أن ينتبه إلى ما حدث ، وقبل أن يفيق من ذهوله ، جذبته ذراع فولاذية من سترته ، فارتطم بالقضبان في صوت مكتوم ، ثم هوت على فكّه لكمة ساحقة أسقطته في غيبوبة لا قرار لها ، دون أن ينبس ببنت شفة .

* * *

ارتفع رنين الهاتف في حجرة نوم قائد سجن (سنج سنج) ، فهبَّ من فراشه فزعًا ، وألقى نظرة على ساعته ، ثم التقط سمّاعة الهاتف ، وهو يغمغم في سخط :

ــ تبًا لهذا الأحمق الذي يتّصل بي في الثانية والربع صباحًا .

ثم صاح في الهاتف :

ــ من المتحدّث ؟

أتاه صوت جندي الاتصال ، يقول في تلعثم :

— هناك سيِّدة تصرُّ على محادثتك يا سيِّدى ، وتقول إن الأمر عاجل للغاية ، ولا يحتمل التأخير .

اعتدل قائد السجن فى فراشه ، وأخذ يداعب خصلات شعره فى دهشة بضع لحظات ، ثم قال فى ضيق :

— صِلْنى بها ، واحرص على التقاط رقم هاتفها أولًا .

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن ينساب إلى أذنى قائد السجن صوت ساحر رقيق ، يقول فى هدوء :

— هل أتشرَّف بالتحدُّث مع قائد السجن شخصيًّا ؟

ازدرد قائد السجن لعابه ، وجلس على طرف فراشه ، مأخوذًا من رقَّة ودفء الصوت ، ثم قال :

— هذا صحيح يا سيِّدتى ، مع من أتحدَّث ؟

أجابته (سونيا جراهام) بضحكة رقيقة طار لها صوابه ، وهى تقول :

— لن يعنيك اسمى كثيرًا يا سيِّدى ، بل سيعنيك أكثر ما سأخبرك به ، أبدأ فأقول إنه يتعلَّق بمحاولة

هروب السجين (٦١٢) ، والتى تم إحباطها اليوم .

قفز قائد السجن من فراشه ، وصاح فى دهشة :

— ما معلوماتك عن الحادث يا سيِّدتى ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة رقيقة ثانية ، ثم قالت :

— إننى أعرف الكثير .. أكثر ممَّا تتوقَّع يا سيِّدى ، أعرف مثلًا أن الرجل الذى ألقيتم القبض عليه ليس (إميل فارس) ، وأن (إميل) الأصلى لم يغادر زنزانته على الإطلاق .

اتسعت عينا قائد السجن دهشةً ، وصاح :

— إننى لا أفهم شيئًا يا سيِّدتى .

قالت (سونيا) فى لهجة جادَّة حاسمة :

— استمع إلىَّ جيِّدًا إذن ، واتخذ إجراءاتك بأقصى سرعة ممكنة ، وإلَّا فقدت الرجلين ، وسمعتك كقائد أشهر السجون مناعةً فى العالم .

* * *

أسرع (إميل) نحو (أدهم) حينما سقط الحارس ، وقال فى انفعال :

ــ والآن ماذا نفعل ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ــ سنغادر الزنزانة أولًا يا صديقى .

نظر إليه (إميل) فى دهشة ، وقال :

ــ وكيف هذا؟ .. إن القفل لا يفتح إلا بواسطة المفتاح الإليكترونى الخاص ، وهذا الحارس لا يحمله ، وإنما هو مع حارس المراقبة وحده .

ضحك (أدهم) فى بساطة ، وهو يقول :

ــ يا إلهى !! إنك تبخس من قدرى يا صديقى .

ثم خلع حذاءه الأيمن ، وأزاح كعبه جانبًا ، فانكشف تجويف صغير يرقد فيه أنبوب أسطوانى صغير ، تناوله (أدهم) وهو يردف قائلًا :

ــ وتبخس من قدر المكتب رقم (عشرة) للمخابرات المصرية أيضًا .

وفى هدوء .. دسّ (أدهم) الأنبوب الصغير فى تجويف القفل الإليكترونى ، وقبل أن يديره دوى صوت صفارات الإنذار فى كل مكان ، وصاح (إميل) فى انفعال :

ــ لقد كشفوا محاولتنا يا سيّدى ، لقد فشلنا .

* * *

٧ ــ صراع مع الزمن ..

تفجّر القلق فى قلوب حراس سجن (سنج سنج) ونزلاته ، حينما قرعت أجراس الإنذار للمرة الثانية فى ليلة واحدة ، وكان أكثرهم قلقًا هو حارس ‹راقبة الطابق السادس ، فقد ارتفع رنين هاتفه الداخلى فى اللحظة نفسها ، فقفز يلتقط سمّاعته ، ويضعها فوق أذنه هاتفًا :

ــ هنا (ح ٦) من المتحدّث ؟

ثم اعتدل فى احترام ، حينما صلّت مسامعه الصياح الغاضب لقائد السجن ، وهو يقول :

ــ ألقِ القبض على السجين (٦١٢) فورًا يا (جيمس) .

رفع (جيمس) حاجبيه فى دهشة ، وغمغم قائلًا :

ــ ولكنه داخل زنزانته بالفعل يا سيّدى .

صرخ القائد قائلًا :

ــ صوّب إليه مسدسك إذن ، أو ضع قفلًا ...ـيًا على زنزانته ، المهم أن تضمن تواجده داخلها ...ى أصل إليك .

هزّ (جيمس) كتفيه ، وقال :

ــ كما تشاء يا سيّدى .

عاد القائد يصرخ :

ــ وتأكد من وجود رجل واحد لا رجلين فى الزنزانة .

كادت عينا (جيمس) تقفزان من محجريهما ذهولًا ...و يهتف :

ــ رجلان ؟!! ماذا يعنى هذا يا سيّدى ؟

صاح القائد ، وقد بلغ غضبه الأوْج :

ــ نفّذ الأوامر دون مناقشة ، حتى أصل إليك .

أجابه (جيمس) بالإيجاب ، ثم وضع سمّاعة ...ف ، ووقف يدير الأمر فى رأسه بحَيْرة ، ثم لم يلبث أن ...ع بتنفيذه قبل أن يصل قائد السجن ، ولم يكد يدور

حول زاوية الممر الذى يحوى زنزانات الطابق ، حتى رأى زميله واقفًا أمام الزنزانة رقم (٦١٢) ، فأسرع إليه قائلًا :

ــ هل هرب (٦١٢) مرة ثانية ؟

أشار زميله فى لامبالاة إلى (إميل) ، الذى رقد مسترخيًا فوق فراشه ، وقال :

ــ كلّا .. إنه يرقد ساكنًا هنا .

تطلّع (جيمس) إلى (إميل) فى دهشة ، ثم تنبّه فجأة إلى نقطة عجيبة ، شىء غامض وَمَضَ فى عقله بغتة ، فالتفت فى حِدّة إلى زميله ، وصاح وهو ينتزع مسدسه من جرابه :

ــ ولكنك لست (شارل) .

ابتسم (أدهم) ــ المتنكّر فى هيئة الحارس ــ ساخرًا ، وقال :

ــ بالطبع أيها الوغد ، أنا لست (شارل) .

رفع (جيمس) فوّهة مسدسه إلى رأس (أدهم) فى سرعة بالغة ، وضغط الزّناد .

* * *

لا ريب أن ذكرى هذه الليلة ، لم تمح من ذاكرة نزلاء (سنج سنج) مدى الحياة ، فقد شاهدوا فيها استعراضًا شيطانيًا لم يسبق له مثيل ، فقد انطلقت رصاصة (جيمس) ، ولكنها لم تصب هدفها ، إذ تحرّك الهدف جانبًا فى سرعة خيالية ، وقفز عاليًا فى الهواء ، ثم هبط خلف (جيمس) ، وقبل أن يدور هذا الأخير حول نفسه ، فى محاولة لمعاودة الهجوم ، تلقّى معصمه ركلة أطارت من يده المسدس ، ثم تحطّمت أسنانه إثر لكمة صاروخية فى فكّه ، وتهشّم أنفه إثر أخرى ، ثم غاب عن الوعى تمامًا .

أسرع (أدهم) ينتزع المفتاح الإليكترونى من جيب (جيمس) ، وفتح باب زنزانة (إميل) ، الذى أسرع خارجًا ينزع زىّ الحارس ويرتديه ، على حين ارتفع صياح المساجين فى جنون :

— أسرع أيها الزميل ، أطلق سراحنا جميعًا ، هيَّا .. سنحطِّم هذا السجن اللعين فوق رءوسهم .

تجاهل (أدهم) و (إميل) صرخات النزلاء ، وارتدى الأخير زِيَّ الحارس فى عجلة ، ثم قال :

— ما رأيك لو أطلقنا سراحهم بالفعل يا سيِّدى ، سيحدث هذا ارتباكًا شديدًا قد يمكننا من الهرب .

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلَّا ياصديقى ، لن أطلق سراح مجموعة من القتلة واللصوص مهما كان الثمن .. فهؤلاء الحراس يقومون بواجبهم فى محاولة منعنا من الفرار ، ولن أسمح لهؤلاء الأوغاد بقتلهم من أجل أن ننجو فقط .

تحوَّلت صيحات المساجين إلى صراخ حاقد مجنون ، وقال (إميل) :

— ربَّما لو أننا ....

قاطعه (أدهم) فى صرامة :

— كلَّا يا (إميل) ، إنك كمن يطلق مجموعة من الذئاب الجائعة ، لينجو من بعض الثعالب ، فيقع فريسة لأنيابهما معًا .

لاذ (إميل) بالصمت ، وتبع (أدهم) فى تحرُّكه السريع نحو المصعد ، ولم تكد تفصلهما عنه بضع خطوات ، حتى تحرَّك باب المصعد فجأة ، وظهر قائد السجن ممسكًا مسدسه وحوله ثلاثة رجال يحملون المدافع الرشاشة ، واتسعت عينا قائد السجن ورجاله ، وهتف هو فى ذهول :

— من أنتما ؟.. إنكما لستما حارسى هذا الطابق .

وفور سماع الحراس لصيحة قائدهم ، ارتفعت فوهات مدافعهم الرشاشة نحو (أدهم) و (إميل) ، واستعدت أصابعهم لتنفيذ إطلاق النار .

* * *

كان الموقف عسيرًا ، معقَّدًا ، وزاد من صعوبته صراخ المساجين الجنونى ، ورغبة (أدهم) فى سرعة

الخـروج من (سنج سنج) ، واللَّحاق بـ (سونيا جراهام) ، قبل أن تغادر (كاليفورنيا) وهى تحمل الميكروفيلم ، ولكن يبدو أن المواقف كلما ازدادت صعوبة ، دفعت بمزيد من القوة والحماس فى عروق (رجل المستحيل) ..

فلم يضع (أدهم) لحظة واحدة ، بل تحرّك فى سرعة مذهلة ، فاندفع داخل المصعد ، وانقض على قائد السجن وحراسه الثلاثة ، وقبل أن تصل الأوامر من عقولهم إلى أصابعهم ، تلقَّى أولهم لكمة قطعت الصلة بينه وبين عالم الوعى ، وهوَت على فكّ الثانى قبضة فولاذية حطّمت علاقته بما حوله ومن حوله ، وانقضت صاعقة على وجه الثالث ، فألقت به آخر المصعد ، وتحرّكت أبواب المصعد لتغلق ، بعد أن انتهى الوقت المحدّد لبقائها مفتوحة .. وتحرّك قائد السجن مبتعدًا عن قبضة ذلك الشيطان الذى حطّم رجاله فى ثوانٍ ، ونسى أنه يحمل مسدسه فى قبضته ، أو ربما ظن أن رصاصاته لن تساوى شيئًا أمام قوة خصمه المذهلة .

ولكن (أدهم) انتزع قائد السجن من داخل المصعد بذراعيه الفولاذيتين ، وأطـاح بمسدسه فى سهولة ، ثم أحاط عنقه بذراعه ، وترك المصعد يهبط بالحراس الثلاثة فاقدى الوعى ، وقال فى لهجة آمرة تجمّد الدم فى العروق :

ـــ معذرة أيها القائد .. ولكننا سنغادر معًا هذا الحصن اللعين ، وفى أقصى سرعة ممكنة .

* * *



٨ ـ ما خلف الجـدار ..

نظرت (سونيا جراهام) إلى ساعتها ، ثم أطلقت ضحكة ساخرة عالية ، وقالت :

ـ يا رجال .. ستقلع طائرتى فى الخامسة تمامًا ، ولم يعد أمامى سوى ساعتين ، وأعود إلى أرض الميعاد حاملة الميكروفيلم .

سألها أحد رجالها :

ـ أتسافرين وحدك أيتها الزعيمة ؟

أجابته فى خشونة لا تتناسب وملامحها بالغة الحسن والرِّقَّة :

ـ بالطبع أيها الغبىّ .. هل تصوَّر أننا سنصفِّى مكتبنا فى (كاليفورنيا) ، من أجل ضابط مخابرات مصرى فى عداد الأموات ؟

تردَّد رجل آخر قبل أن يسألها :

ـ وماذا لو أنه نجح فى الفرار ؟

قطَّبت (سونيا) حاجبيها فى ضيق ، وقالت :

ـ ينجح فى الفرار من (سنج سنج) ؟!.. يا لك من أحمق !!

ولكن عبارتها جاءت صعبة الإقناع ، إذ أنها هى نفسها لم تكن قانعة تمامًا باستحالة فرار (أدهم صبرى) ، مهما بلغت قوة وسائل الأمن داخل (سنج سنج) ، فعادت تستطرد فى خشونة ، وكأنها تنفى هذا الخاطر :

ـ وحتى لو نجح ، فهو يحتاج إلى ساعة ونصف ساعة على الأقل ، للوصل إلى مطار (كاليفورنيا) ، هذا لو أنه يعلم موعد مغادرتى البلاد .

داعبت المخلب الذى تخفى الميكروفيلم فى جوفه ، ثم عادت تهزّ رأسها فى قوة وعناد ، وتقول :

ـ كلَّا .. إنه لن ينجح فى هزيمتى هذه المرة .

* * *

حدّق قائد سجن (سنج سنج) فى وجه (أدهم) مذهولًا ، ثم لم يلبث أن استعاد هدوء أعصابه ، وقال فى صرامة :

ـــ لن يمكنك الفرار من (سنج سنج) ، حتى ولو اتخذتنى رهينة أيها الشيطان .. فلكى تغادر البوابة الخارجية ، لا بدّ لك من اجتياز الفناء ، وهناك ستحرّك وسط قنّاصة يصوّبون إليك فوّهات بنادقهم من كل الاتجاهات ، ولن يمكنك أن تحمى جسدك من كل مكان ، وستصيبك حتمًا إحدى رصاصاتهم .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ هذا لو أنهم يعرفون من أنا ياسيّدى .

سأله قائد السجن فى دهشة :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يفرغ أحد المسدسات من ذخيرته :

ـــ سترتدى زيًا مماثلًا لنا ياسيّدى ، وسيتحرّك

ثلاثتنا فى شكل دائرى ، وكل منا يخفى وجهه ، ويصوّب مسدسه إلى الاثنين الآخرين ، ولن أنبهك بالطبع ، إلى أننى سأطلق النار على رأسك فور محاولتك الخداع .. وهكذا سنعبُر الفناء ، ونغادر السجن دون أن يدرى الحراس من منّا قائد السجن .. هل تعتقد أنهم سيطلقون النار فى ظل هذه الظروف ؟

قال قائد السجن فى غضب :

ـــ ستضاعف عقوبتكما ، ولن تنجحا فى مغادرة البلاد ، وستعثر عليكما الشُرطة الفيدرالية مهما حاولتما التخفّى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ فلنؤجل هذا لما بعد ياسيّدى .. دعْنا الآن نتم عملنا فى هدوء ، فكل ماأطلبه هو مغادرة (سنج سنج) ، وليحدث مايحدث بعد ذلك .

* * *

كانت خطة (أدهم) ناجحة إلى درجة مذهلة برغم
بساطتها الشديدة ، فلم يجرؤ حارس واحد على إطلاق
النار ما دام قائدهم هو أحد الرجال الثلاثة الذين تختفى
وجوههم ، وظل الحراس يراقبون التشكيل فى غيظ
وحنق ، وأطاع حارسا البوابة ، ففتحاها على مصراعيها
امام الرجال الثلاثة ، بل منحوهم إحدى سيارات
السجن ، كل ذلك بسبب تلك التميمة التى حملها معه
(أدهم) ، والمقصود بالتميمة هو قائد السجن بالطبع ،
فقد ظل ساكتًا ، حتى انطلق (أدهم) بسيارة السجن
مبتعدًا ، وأطلق لها العنان ، ثم أطلق ضحكة ساخرة
عالية ، وهو يقول :

ــ ها قد نجونا يا صديقى (إميل) ، هل رأيت
كيف أن الخروج من (سنج سنج) هيّنا ، بعكس
ما نُسجَ حوله من أساطير ؟. صدّقنى يا صديقى .. إننا
نصنع مخاوفنا بأنفسنا .

أجابه قائد السجن فى هدوء غاضب :

ــ خطأ أيها الرجل ، لقد اجتزت بالفعل أصعب
حائل فى تاريخ السجون ، وأنا أشهد لك بالبراعة .

غمغم (أدهم) فى احترام أدهش (إميل) :

ــ شكرًا يا سيّدى .

عاد قائد السجن يستطرد :

ــ إن ما أقوله صحيح أيها الشيطان ، فقد تصرّفت
فى سرعة ومهارة مذهلتين ، وأنا أراهن أنك لست
سجينًا عاديًا ، أنت محترف .

أجاب (أدهم) بنفس اللهجة التى تنم عن احترام
محدّثه :

ــ هذا صحيح يا سيّدى .

ثم انحرف فجأة بالسيارة إلى منعطف جانبى ،
وأوقفها بغتة ، ثم استدار إلى قائد السجن ، وقال فى
هدوء :

ــ قد يدهشك حديثى يا سيّدى ، ولكننى أكنُّ
احترامًا عظيمًا لكل من يخلص فى أداء عمله مثلك ،

وإن كانت الظروف المعقّدة قد أجبرتنى على الوقوف موقف الخصم منك ، فهذا لا يعنى مطلقًا أننى أناصبك العداء ، ولكننى أيضًا أؤدى عملى ، وأحاول إجادته بقدر ما أستطيع ، وهو عمل شريف على عكس ما قد توحى به الأحداث الماضية .

غمغم قائد السجن :

ـــ لقد تصوّرت ذلك إلى حدٍّ ما ، حينما سمعت صراخ المساجين وهم يطالبونكما بإطلاق سراحهم ، ورأيتكما تتجاهلان ذلك ، وهذا ليس من شيم المجرمين .

ثم سأل (أدهم) فى اهتمام :

ـــ أهو أحد أعمال المخابرات ؟

تطلّع (إميل) فى دهشة إلى قائد السجن ، على حين ابتسم (أدهم) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ـــ هذا صحيح يا سيّدى .

عاد قائد السجن يسأل فى لهفة :

ـــ أتنتميان إلى المخابرات الإسرائيلية ؟

صمت (أدهم) لحظة ، ثم أجاب :

ـــ بل المصرية .

صاح (إميل) فى غضب :

ـــ مهلًا يا سيّدى ، هذا مخالف لقواعد السرّيّة فى العمل .

أوقفه (أدهم) بإشارة صارمة من يده ، ثم عاد يقول لقائد السجن :

ـــ والآن يا سيّدى .. لقد انتهت مهمّتك ، وسأكمل الطريق وزميلى وحدنا .

هبط قائد السجن من السيارة ، وقال :

ـــ أكرّر أنه لن يمكنكما الفرار ، فلا ريب أن المتاريس قد أقيمت فى كل مكان ، وستجدان كل الطرق مسدودة ، إنها عملية فاشلة برغم كل ما فعلتماه حتى الآن .

* * *

٩ ـ بسرعة الصاروخ ..

وصلت (سونيا جراهام) إلى مطار (كاليفورنيا) ، والتفت أنظار الجميع إلى جمالها الفتان ، وهى تهبط من سيارتها الفاخرة ، وتتحرّك فى خطوات أرستقراطية أنيقة ، حاملة حقيبتها الصغيرة بيُمناها ، وقابضة على المخلب المتدلّى من السلسلة الذهبية فى عنقها بأطراف أصابع يُسراها ، واتسعت ابتسامتها الجذّابة فى خُيلاء ، حينما رأت تأثير جمالها الساحر على روّاد المطـــار ، وتقدّمت تنهى إجراءات جواز سفرها فى هدوء ، ثم انتحت جانبًا وجلست على مقعد ، ونظرت إلى ساعتها ، وابتسمت حينما رأت عقاربها تشير إلى الرابعة ، وغمغمت :

ـ ساعة واحدة وتُمْنَى بأول هزيمة ، من خلال عملياتنا المشتركة أيها الشيطان المصرى .

شعرت بسعادة غامرة تملأ جوانبها ، فاسترخت فى مقعدها ، وأسبلت جفنيها البديعين فى هدوء ، وتأمّلها روّاد المطار فى إعجاب وانبهار ، ولم يصوّر أحدهم لحظة واحدة ، أن خلف ذلك الجمال الذى لا مثيل له فى العالم ، تكمن أفعى سامّة يفوق سُمّها أبشع سموم العالم ، ولم يدر أحدهم أن هذا الرأس الجميل يحمل فى تلك اللحظة فكرة واحدة ، وهى الموت .. موت (أدهم صبرى) الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) .

* * *

ارتفعت فوّهات المدافع الرشاشة خلف الحاجز المقام فى الطريق من (ســـنج ســـنج) إلى وسط كاليفورنيا) ، وارتفع صوت أحد ضباط الشرطة عبر مكبّرات الصوت ، يأمر السيارة الفاخرة التى تقترب من الحاجز بالتوقّف ، وأطاع قائد السيارة الأمر فى هدوء ، ثم هبط وزميله منها ، وأبرز كل منهما أوراقه ، على حين سأل الأول فى اهتمام :

— ماذا حدث أيها الضابط ؟

أجابه الضابط وهو يفحص أوراقه ، ويقارن الصورة المثبتة بها بوجه الرجل الأشقر ذى الشارب الكثّ الذى يسأله :

— لقد هرب سجينان من (سنج سنج) و ....

قاطعه الرجل الثانى بصفير مرتفع ، وهتف فى دهشة :

— من (سنج سنج) ؟!.. لقد كنت أظنه حصنًا منيعًا .

رفع الضابط رأسه يتأمل الرجل الآخر الذى يحمل وجهًا هادئًا ، ولحية كبيرة سوداء ، ثم قال :

— لا يوجد شىء منيع إلى الأبد .

ثم ناول الرجلين أوراقهما ، وهو يسأل :

— ألم تقابلا سيارة من سيارات السجن فى طريقكما ؟

أجاباه بالنفى ، فأشار إلى رجاله أن يرفعوا الحواجز ،

وانطلقت السيارة الفاخرة مواصلة طريقها ، ولم تكد تبتعد حتى تنهّد ذو اللحية السوداء ، وهتف :

— يا إلهى !! لقد نجونا .

ابتسم الأشقر الذى لم يكن سوى (أدهم صبرى) ، وقال :

— لقد أعدّت مخابراتنا كل شىء يا صديقى (إميل) ، وأعتقد أننا ندين لصديقنا البدين (قدرى) .. فلولا الأوراق التى زوّرها فى براعة منقطعة النظير ، ما نجونا مطلقًا .

ضحك (إميل) ضحكة مغتصبة ، وقال :

— أين نذهب الآن ؟

أجابه (أدهم) وهو يزيد من سرعة السيارة :

— إلى (منى) يا صديقى ، فهى الوحيدة التى يمكنها أن تدلّنا على مكان (سونيا جراهام) ورجالها ، هذا لو أنها نفذّت أوامرى بدقّة .

* * *

احتبست الكلمات فى حلق (منى) من شدة الدهشة والفرح ، حينما رأت (أدهم) أمامها ، فاندفعت نحوه وهى تهتف فى سعادة :

— يا إلهى !! لقد نجحت هذه المرة أيضا يا (أدهم) .

ولكن سعادتها لم تلبث أن انطفأت ، حينما بادرها (أدهم) قائلًا فى جدّيّة :

— هل نفذْتِ ما أمرتك به يا (منى) ؟

أجابته فى لهجة رسميّة غاضبة :

— كل حرف يا سيادة العقيد .

تجاهل (أدهم) لجوءها إلى اللهجة الرسمية فى مخاطبته ، وقال وهو يختار مسدسًا من حقيبة صغيرة فوق المنضدة ، ويتأكد من حشوه ، ثم يدسُّه فى سترته :

— حسنًا .. ماذا حدث ؟

سألته فى هدوء :

— هل أخرجت (إميل) ؟

أجابها فى عجلة :

— نعم .. وهو الآن فى السفارة المصرية ، وسيغادر الولايات المتحدة إلى مصر بجواز سفر دبلوماسى ، بعد أن يبدل ملامحه هناك .. كل شىء مُعَدّ بإتقان .. والآن ماذا حدث لـ (سونيا) ورجالها ؟

صمتت لحظة وهى تحاول هضم غضبها ، ثم قالت :

— لقد قيدتهم بإحكام ، ثم تظاهرت بالانصراف ، وانتظرت فى السيارة خارج المنزل كما أمرتنى .

سألها بنفاد صبر :

— أين ذهبوا بعد أن حلّت (سونيا) قيودها ؟

تطلّعت إليه (منى) فى دهشة ، وقالت فى صوت تخالطه نبرات الغيرة :

— يبدو أنك تثق كثيرًا فى قدرات هذه الفتاة .

أجابها (أدهم) فى صرامة :

— إنها فتاة مخابرات ، والآن ماذا حدث بعد ذلك ؟

أجابت (منى) فى لهجة رسميّة غاضبة :

— لقد ذهبوا إلى منزل قريب ، ثم غادرته (سونيا) بعد ساعة واحدة إلى مطار (كاليفورنيا) .

اتسعت عينا (أدهم) ، وهو يهتف فى انفعال :

— إلى مطار (كاليفورنيا) ؟!

ثم جذب (منى) من يدها ، وتحرّك فى سرعة نحو الباب ، قائلاً :

— هَلُمَّ بنا يا (منى) ، فأمامنا عمل كثير .

سألته وهى تتبعه عَدْوًا :

— هل سنلحق بها فى مطار (كاليفورنيا) ؟

أجابها فى لهجة تفيض حزمًا :

— كلَّا يا عزيزتى ، سنذهب أولًا لزيارة رجالها ، فليس من الصواب أن نهاجم الأفعى ، دون أن نعلم موضع أنيابها .

* * *

١٠ — صاعقة من مصر ..

تثاءبت (سونيا جراهام) فى هدوء وتكاسل ، وألقت نظرة خاطفة على عقارب ساعتها ، ثم ابتسمت فى سعادة وظفر ، وغمغمت :

— نصف ساعة فقط وينتهى كل شىء .. مرحى يا (سونيا) .. لقد انتصرت .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع صوت رقيق ، عبر أجهزة الاستماع الداخلى فى مطار (كاليفورنيا) ، يدعو ركاب طائرة الخامسة صباحًا للاستعداد ، وحدّد موعد الإقلاع بعد نصف ساعة بالضبط ، فاتسعت ابتسامة (سونيا) ، وهى تقول لنفسها :

— لأوّل مرة أنتصر على شيطان المخابرات المصرىّ انتصارًا كاملًا .

وداعبت بأناملها المخلب الذى يحوى الميكروفيلم

— رمز انتصارها — وعادت ذاكرتها إلى العمليات العديدة التى جابهت فيها (رجل المستحيل) ، ثم نهضت فى تراخ ، وحملت حقيبتها الصغيرة ، وقبضت على المخلب الصغير فى قوة ، وسارت فى هدوء نحو الباب المؤدّى إلى ممرّ إقلاع الطائرات .

* * *

هبّ رجال (سونيا جراهام) الأربعة من نومهم فى فزع ، وقبضت أيديهم على مسدساتهم على نحو غريزى ، وألقى أحدهم نظرة على الساعة التى أشارت عقاربها إلى الخامسة إلّا الثلث صباحًا ، ثم صاح فى رفاقه :

— تُرى من يقرع بابنا فى مثل هذا الوقت ؟

صاح آخر فى قلق :

— ربّما الزعيمة ، أو ....

أخرسه ثالث مقاطعًا :

— مستحيل أيّها الغبىّ .

ثم أسرع إلى الباب ، وأعدّ مسدسه للإطلاق ، وهو يسأل فى توتّر :

— من الطارق ؟

أجابه صوت هادئ صارم :

— الشّرطة الفيدرالية الأمريكية .. إننا نبحث عن سجين هارب .

التفت الرجل إلى رفاقه متسائلًا فى قلق ، فأجابه أحدهم فى توتّر :

— إننا لا نخفى شيئًا ، فمسدساتنا مرخّصة ، افتح الباب ولا تخش شيئًا .

سأله فى قلق :

— وماذا لو أنه ....؟

وقبل أن يتم عبارته ، عاد الباب يُقرع فى عنف ، وارتفع الصوت الصارم من خلفه يقول :

— هذا تفتيش قانونى ، افتح الباب ، أو نحطّمه .

أشار الرجل إلى رفاقه أن يذهبوا إلى حجراتهم ، ثم

فتح الباب فى هدوء ، وطالعه رجل يرتدى زىّ رجال الشُرطة الأمريكية يقول فى هدوء :

ــ معذرة لإزعاجكم فى مثل هذا الوقت المبكّر ، ولكننا نبحث عن سجين تمكّن من الفرار من (سنج سنج) .

كانت دهشة الرجل حقيقية ، وهو يهتف :

ــ نجح فى الفرار ؟!

حدجه الشرطى بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ــ هل تعلم عنه شيئًا ؟

أسرع الرجل يقول :

ــ كلّا .. كلّا ، مطلقًا .. ولكن أدهشنى نجاح رجل فى الفرار من سجن أسطورىّ شهير مثل (سنج سنج) .

تطلّع الشُرطىّ حوله ، وقال فى اهتمام :

ــ أين رفاقك الباقون ؟

أجابه الرجل على عجل :

ــ فى الداخل ، إنهم لم ....

ثم تنبّه فجأة إلى غرابة السؤال ، وتساءل كيف علم الشُرطى أنه يقيم مع آخرين ، فنزع مسدسه فى سرعة وهو يصرخ :

ــ إنها خدعة يا رفاق ، إنه ....

وقبل أن يتم عبارته ، طار مسدسه إثر ركلة قوية من قدم الشُرطى ، ثم تحطّمت فكّه تحت لكمة كالقنبلة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رفاقه الثلاثة من حجراتهم ، وصوّبوا مسدساتهم إلى (أدهم صبرى) المتنكّر فى هيئة الشُرطىّ .

* * *

اندفع (أدهم صبرى) كالصاعقة نحو الرجال الثلاثة ، واندفعت قبضته تطيح بمسدس أولهم ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها قدمه لتطير مسدس الثانى ، ثم حطّم أنف الأول بلكمة ساحقة ، وهشّم أسنان الثانى بقبضة فولاذية جبّارة ، ولكنه حينما التفت إلى الثالث كان قد قفز نحو الباب ، وصوّب إليه مسدسه ، صائحًا :

— توقَّف أيها الشيطان المصرىّ ، أو أطلق النار .
كانت المسافة التى تفصل (أدهم) عن الرجل الثالث كبيرة ، وكان الرجل متحفزًا لإطلاق النار ، كما كان يبدو أكثر صلابة وجرأة من رفاقه ، فرفع (أدهم) ذراعيه فوق رأسه ، وقال فى لهجة ساخرة :
— عجبًا .. إنها المرة الأولى التى أواجه فيها أحدكم ، فأجده شجاعًا يحسن التصرُّف ، أهنئك أيها الوغد .
كانت ملامح الرجل تنمّ عن القوة والبأس وهو يصوِّب مسدسه إلى (أدهم) ، قائلًا فى صرامة :
— لقد فشلت هذه المرة أيها الشيطان المصرى .
رأى (أدهم) أصابع الرجل تنقبض فوق زناد مسدسه ، وشعر أنه لن يتردَّد لحظة فى إطلاق النار ، وأنه لن يخطئ هدفه هذه المرة ، فعمد إلى كسب الوقت ، وهو يقول ساخرًا :
— أراهن أن (سونيا) قد حصلت على الميكروفيلم بالطبع .

ابتسم الرجل فى شماتة ، وهو يقول :
— بالطبع أيها الشيطان المصرى .. لقد هزمناك هذه المرة .
ظلَّت ابتسامة (أدهم) ساخرة ، وهو يقول :
— إن الفضول ينتابنى لمعرفة أين أخفته ، فأنتم لا تتميَّزون بالتجديد والابتكار ، وأراهن أنها تضعه فى حقيبة يدها .
مطَّ الرجل شفتيه ، وألقى نظرة سريعة على ساعة الحائط ، ثم قال :
— لسنا بمثل هذا الغباء الذى تتصوَّره أيها الشيطان المصرى ، إن (سونيا) تحمل الميكروفيلم فى عنقها .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم فى تساؤل حقيقى :
— فى عنقها ؟!
أجابه الرجل فى فخر ، وقد أسعدته دهشة (أدهم) :

— نعم ، داخل مخلب برونزى أنيق ، يتدلَّى من سلسلة ذهبية فى عنقها ، شىء يبدو كحلية أنيقة فى جيد فتاة رائعة الجمال ، من يخطر بباله أنها تحوى أخطر وثائقنا على الإطلاق ؟

أدهشت ابتسامة (أدهم) الهادئة الواثقة رجل (الموساد) ، وتحرَّك القلـــق فى نفسه ، حينما سمع (أدهم) يقول فى لهجة ساخرة :

— لقد عاونتنا كثيرًا بهذه المعلومات أيها الوغد ، والآن أتنوى الاستسلام ؟ أم تطلق زميلتى النار على رأسك ؟

حاول رجل (الموساد) أن يبتسم فى سخرية مماثلة ، ولكن محاولته باءت بالفشل ، وهو يقول فى سخرية وتوتُّر :

— خدعة قديمة فاشلة أيها الشيطان المصرى ، ومن المؤسف أن يلجأ خبير مثلك إلى هذه الحيل الصبيانية .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة قصيرة ، وقال :

— إذن فأنت لا تصدِّق أن زميلتـــى تصوِّب مسدسها إلى رأسك ، خلفك تمامًا .

عادت الصرامة إلى وجه رجل (الموساد) ، وهو يقول فى ثقة :

— مطلقًا يا سيِّد (أدهم) .

ولكن هذه الثقة تلاشت فجأة ، حينما سمع رجل (الموساد) من خلفه صوتًا يشبه صوت مسدس من نوع الـ (كولت) ، وهو يعد للإطلاق ، أعقبه صوت أنثوى ساخر يقول :

— يبدو أنك من النوع الذى يصعب إقناعه أيها الوغد .

كان وقع المفاجأة عنيفًا على الرجل ، ولكنه لم ينهر ، فقد كان حقًّا من النوع الصُّلب العنيد ، كما توقَّع (أدهم) ، وبدلًا من أن يستسلم ، استدار فى سرعة مذهلة ، وأطلق النار .

* * *

١١ ـ خارج نطاق القتال ..

اتخذت (سونيا جراهام) مقعدها فى هدوء ، داخل الطائرة الضخمة من طراز (بوينج ٧٠٧) ، واستمعت إلى صوت قائد الطائرة يطلب من الركاب ربط أحزمتهم ، والامتناع عن التدخين استعدادًا للإقلاع ..

فربطت حزام المقعد فى عصبية ، إذ كان هدوءها قد تبخّر ، وحلّت محلّه عصبية زائدة ، عندما لم تعد هناك سوى دقائق معدودة ، وتُتوّج عمليتها بالانتصار ..

ووجدت (سونيا) نفسها تتطلّع فى قلق من خلال نافذة الطائرة المجاورة لها إلى ممر الإقلاع ، وكأنها تخشى أن يظهر (أدهم صبرى) فجأة ، وهو يعدو نحو الطائرة ، تخيّلته لحظة يمزّق جدران الطائرة بيديه العاريتين كالـ (سوبرمان) ، ولكنها سرعان ما نفضت مخاوفها [illegible]دأت محركات الطائرة فى الدوران ،

وانزلقت فوق ممر الإقلاع ، وتنهّدت (سونيا) فى ارتياح ، واسترخت فى مقعدها ، وداعبت الخلب وهى تقول فى سعادة :

ـــ الآن فقط تحقّق انتصارى الكاملُ على الشيطان المصرى .

* * *



كنا قد تركنا رجل (الموساد) وهو يستدير فى سرعة مذهلة ، ويطلق النار من مسدسه نحو (منى) ، ولكننا سنعود نصف ثانية فقط إلى الوراء ، حينما اكتملت

استدارة الرجل ، وقبل أن تضغط أصابعه تمامًا على الزناد ..

ففى نفس اللحظة التى دار فيها جسد رجل (الموساد) حول نفسه ، اندفع جسد (رجل المستحيل) إلى الأمام ، وقفز فى الهواء كالصقر ، ثم انقضَّ على رجل (الموساد) ، وكان الانقضاض عنيفًا ، قويًّا فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها الرصاصة ، فطاشت ، وأخطأت هدفها ، واستقرت فى الحائط المواجه ، على قيد سنتيمترات قليلة من رأس (منى توفيق) ، التى شاهدت (أدهم) ينتزع مسدس رجل (الموساد) ، ويحطِّم أنفه وفمه ، بلكمتين متلاحقتين ساحقتين ، ثم شاهدته يحمل الرجل بين ذراعيه كالطفل ، ويلقى به فوق أحد المقاعد ، فى عنف وقوة ، وأسرعت (منى) إلى داخل المنزل ، وأغلقت الباب خلفها ، ورأت (أدهم) يجبُر الرجل على النهوض ، ويسأله فى حِدَّة :

ـــ أين ذهبت (سونيا جراهام) فى هذه اللحظة ؟

مسح رجل (الموساد) الدمَ المتدفِّق من أنفه وفمه ، وابتسم بطريقة تنمّ عن البأس والجرأة ، وهو ينظر إلى ساعة الحائط ، قائلًا فى صوت متحشرج :

ـــ ستستقل الطائرة عائدة إلى البلاد ، لم تعُد هناك فائدة .

سأله (أدهم) فى صرامة :

ـــ ومتى تقلع طائرتها ؟

عاد الرجل يمسح الدماء التى واصلت تدفُّقها من أنفه وفمه ، وقال :

ـــ لا فائدة .

جذبه (أدهم) فى حِدَّة ، ورفع قبضته ليلكمه وهو يقول :

ـــ أجب أيها الوغد .

بدت ابتسامة شاحبة على وجه الرجل ، وهو يتطلَّع إلى الساعة قائلًا :

— ستقلع طائرتها فى تمام الخامسة صباحًا .
شهقت (منى) وهى تتطلّع إلى ساعة الحائط فى بأس ، والتفت (أدهم) إلى الساعة فى حدّة ، ولم يلبث أن عقد حاجبيه غضبًا ، فقد كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة ودقيقة واحدة من صباح اليوم .

* * *

أطلق رجل (الموساد) ضحكة عاليـــة تموج بالشماتة ، وهتف فى شراسة :
— لقد أقلعت الطائرة منذ دقيقة واحـدة ، لقـد فشلت أيها الشيطان المصرى هذه المرة .
ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، على حين هتفت (منى) :
— ربما تأخرت الطائرة عن الإقلاع ، أو ....
قاطعها رجل (الموساد) ، قائلًا :
— لم تتأخر طائرة واحدة عن الإقلاع من مطار كاليفورنيا منذ عشرين عامًا .

تعلّق بصر (أدهم) بعقارب الساعة وهى تتحرّك ، لتضيف دقيقة ثانية إلى الخامسة صباحًا ، ثم قال فجأة :
— لم نخسر كل شىء بعد .
ثم تحرّك نحو الهاتف ، فسألته (منى) فى انفعال :
— هل ستلحق بها إلى إسر ....؟
قاطعها وهو يدير رقمًا ما ، قائلًا :
— لم يدر هذا بخلدى مطلقًا يا عزيزتى ؟
سأله رجل (الموساد) فى قلق :
— ماذا ستفعل إذن ؟
أجابه (أدهم) فى هدوء :
— سأصنع سابقة ليس لها مثيل فى مطار كاليفورنيا أيها الوغد .. سأعيد طائرة (سونيا جراهام) إلى قواعدها .

* * *

١٢ ـــ العودة إلى الفخ ..

أسبلت (سونيا جراهام) جفنيها فى هدوء وثقة، بعد أن مضت خمس دقائق منذ إقلاع الطائرة، وأخذت تصوُّر انتصارها فى قلب إدارتها، حينما تعود إليهم، حاملةً الميكروفيلم داخل ذلك المخلب الشيطانى الأنيق، واتسعت ابتسامتها وهى تتخيَّل غضب (أدهم صبرى)، وفشله هذه المرة، ولكنها استيقظت من أفكارها فجأة، حينما انبعث صوت قائد الطائرة، عبْر مكبرات الصوت الداخلية، يقول :

ـــ انتباه . هناك ظروف طارئة تجبرنا على العودة إلى مطار كاليفورنيا، أرجو إعادة ربط الأحزمة، والامتناع عن التدخين، وشكرًا .

توتَّرت أعصاب (سونيا جراهام)، وجذبت مضيفة الطائرة من ذراعها فى قسوة، وسألتها فى حِدَّة :

ـــ لماذا تعودون إلى مطار كاليفورنيا ؟

أجابتها المضيفة فى لهجة بدت هادئة، وإن حملت فى طيَّاتها ما ينمّ عن قلق بالغ :

ـــ مجرَّد عُطل صغير فى الطائرة، لا تخشى شيئًا يا سيِّدتى، فقط اربطى حزام مقعدك وسنهبط فى هدوء .

دارت عينا (سونيا) فى محجريهما قلقًا، وصاحت فى عناد :

ـــ لا يمكننى العودة، هناك أعمال غاية فى الخطورة تنتظرنى فى دولتى .

أجابتها المضيفة، فى مزيج من الصرامة وقلة الحيلة :

ـــ لسنا نملك شيئًا يا سيِّدتى .. لقد تلقَّينا أمر العودة، وليس أمامنا سوى ذلك .

شعرت (سونيا) برغبة عارمة فى البكاء، وغص حلقها قلقًا، ولكنها أطاعت صاغرة وأعادت ربط حزام مقعدها .

* * *

وهناك فى الطريق إلى مطار كاليفورنيا ، كانت هناك سيارة أنيقة تنهب الأرض نهبًا ، وقائدها ينحرف بها من اتجاه إلى آخر فى مهارة تثير الدهشة ، وإلى جواره جلست فتاة حسناء صامتة ، لم تلبث أن قطعت صمتها وهى تسأله :

— هل تظن خطتك ستنجح يا (أدهم) ؟

أجابها فى هدوء :

— بلا شك .. هل تتصوَّرين أنهم يسمحون لطائرة ركاب ضخمة ، تحمل ما يزيد على ألف راكب ، بمواصلة رحلتها ، بعد أن أبلغهم مجهول أنها تحمل قنبلة شديدة التفجير ؟

ابتسمت فى إعجاب ، وهى تقول :

— كلَّا بالطبع .. لن يجرؤ أحدهم على ذلك ، حتى ولو كانت نسبة الخداع تسعين فى المائة .

ثم استطردت فى لهجة هادئة :

— ولكن كيف خطرت ببالك هذه الفكرة الجهنمية ؟

أجابها فى هدوء وهو يزيد من سرعة السيارة ، بعد أن وصل إلى طريق مستقيم مباشر :

— كان لابدَّ من منع (سونيا) من مغادرة كاليفورنيا ، وهى تحمل الميكروفيلم .. والله (سبحانه وتعالى) يلهم أصحاب الحق دائمًا .

سألته فى اهتمام :

— وماذا لو أنها عمدت إلى إتلاف الميكروفيلم ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— لن تفعل يا عزيزتى ، لو أنك تعرفين (سونيا جراهام) كما أعرفها ، لبت واثقة أنها لن تجرؤ على تدمير دليل انتصارها الوحيد .

ومع آخر حروف كلماته ، ضغط (أدهم) دوَّاسة السرعة حتى آخرها ، وانطلقت سيارته كالصاروخ ، حتى ارتفعت عجلاتها عن الأرض ، فى محاولة للانتصار على الزمن .

* * *

بدا الأمر مثيرًا للشك والقلق فى رأى (سونيا جراهام) ، حينما هبطت مع باقى ركاب الطائرة من خلال أبواب الطوارئ ، ورأت حالة التوتُّر والحركة الدائبة حول الطائرة ، فتوجَّهت إلى أحد ضباط الشُرطة الذين انتشروا فى كل مكان ، وسألته :

ـــ ماذا حدث ؟

أجابها فى قلق :

ـــ لقد تلقَّينا إنذارًا من مجهول ، تشير إلى وجود قنبلة فى الطائرة ، ورجالنا يبحثون عنها الآن .

شعرت (سونيا) بانقباض شديد ، حين سماعها ذلك التفسير .. فلقد رأت أنه يحمل توقيع (أدهم صبرى) ، ووجدت نفسها تقول فى حدَّة :

ـــ ألا يمكننى الإقلاع على طائرة أخرى ؟

أجابها الضابط فى هدوء :

ـــ لا داعى لذلك يا سيِّدتى ، ستقلع الطائرة فور فحصها ، ولن يستغرق ذلك سوى بضع دقائق ، فكل

شىء يتم فحصه إليكترونيًا ، ويمكنك تناول شراب منعش حتى يحين الإقلاع .

تلفَّتت (سونيا) حولها وهى تتوقَّع رؤية (أدهم) ، فلما لم تلمح من يشبهه ، تحرَّكت نحو الكافيتيريا الخاصة بالمطار ، وهى تقبض على المخلب فى قوة ، وهناك طلبت كأسًا من الخمر ، وجلست ترشفه فى توتُّر وعيناها تدوران فى كل مكان ..

اقترب منها رجل فى نحو الأربعين من عمره ، أشيب الشعر ، كثُّ اللحية والشارب ، وسألها فى لهجة عابثة :

ـــ أتقبلين دعوتى على كأس أُخرى يا جميلة الجميلات ؟

أجابته فى خشونة :

ـــ إليك عنِّى .

عاد يسألها فى إلحاح :

ـــ أتقبلين دعوتى إلى العشاء إذن ؟

ظهر الغضب فى عينيها الجميلتين ، وهى تقول فى حدَّة :

اقترب منها رجل فى نحو الأربعين من عمره ، أشيب الشعر ، كثّ اللحية والشارب ، وسألها فى لهجة عابثة :
ــ أتقبلين دعوتى على كأس أخرى يا جميلة الجميلات ؟

ــ ابتعد قبل أن أحطّم أنفك .

مدّ الرجل يده يداعب عنقها ، وهو يقول بنفس اللهجة العابثة :

ــ يالك من نمرة شرسة !!

ضربت يده فى قوة وغضب ، فانزلقت يده ، وأطارت السلسلة من عنقها ، فصرخت فى غضب جنونى :

ــ أيها الوغد .

قفز الرجل من مقعده ، وأسرع يلتقط المخلب والسلسلة الذهبية ، وتأمّلهما فى إعجاب وهو يقول :

ــ من الواضح أنك تمتازين بالذوق الرفيع يا جميلتى .

قالت فى لهجة وحشية :

ــ أعِدْ إلىَّ هذه السلسلة .

ضحك الرجل ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. حسنًا يا جميلتى الشرسة .. دعِينى أصلحها أولًا على الأقل .

وقبل أن تجيبه ، بدأ يحاول إصلاح السلسلة الذهبية ، فقفزت هي ، واختطفتها من يده ، صائحة في غضب :

ــ قلت لك أعطني إياها .

تأملها الرجل وهي تصلح السلسلة في مهارة وسرعة ، وتحيط بها جيدها الجميل ، ثم قال :

ــ كم كنت أتمنّى صحبتك إلى العشاء ، إنني رجل ثري ، و ....

وقبل أن يتمّ عبارته ، عادت مكبّرات الصوت تعلن إقلاع الطائرة مرة أخرى بعد التأكد من عدم وجود القنبلة ، فأسرعت (سونيا) إلى ممرّ الإقلاع وهي تقول في عصبية :

ــ أخيرًا .. يا له من وقت عصيب !!

* * *

أقلعت الطائرة للمرة الثانية ، ولكن التوتّر لم يزايل قلب (سونيا) ، فأخذت تحرّك أصابعها في قلق

وعصبيّة ، وتتحسّس المخلب الشيطاني كل لحظة وأخرى ، كانت تعلم أنها في طريقها إلى وطنها بلا متاعب هذه المرة ، ولكن شيئًا ما في أعماقها كان يشعر بالفشل ، وتضاعف هذا الشعور مع كل ميل تقطعه الطائرة ، حتى لم تعد تحتمل .. فانتزعت المخلب من عنقها ، وأدارته لتكشف التجويف الأسطواني داخله ، ولم تكد تفعل ، حتى أطلقت شهقة أثارت دهشة ركاب الطائرة جميعهم ، إذ كان المخلب الشيطاني خاليًا ، لا أثر داخله للميكروفيلم ، واحتبست الدموع في مُقلتيها وهي تغمغم ساخطةً :

ــ يا للشيطان !! ذلك الرجل العابث ، لقد كان هو ، لقد كان ذلك الشيطان المصري .

ثم قفزت من مقعدها ، وصاحت في وجه مضيفة الطائرة :

ــ أريد العودة إلى كاليفورنيا .. لابدّ من ذلك .

تطلّعت إليها المضيفة في دهشة ، وقالت :

— هذا مستحيل يا سيِّدتى ، لن نعود مرة ثانية ، هذا مستحيل تمامًا .

دارت فى رأس (سونيا) عدة أفكار جنونية فى هذه اللحظة ، حتى أنها كادت تقدم على اختطاف الطائرة ، والعودة بها إلى كاليفورنيا ، ولكنها لم تلبث أن شعرت بعدم جدوى ذلك ، فانهارت فى مقعدها ، وغمغمت فى لهجة تنم عن الهزيمة والانكسار والكراهية :

— لقد انتصر هذه المرة أيضًا ، لقد هزمنى الشيطان المصرى مرة أخرى .

وأمام دهشة ركاب الطائرة ، انفجرت أفعى (الموساد) فى بكاء شديد .

* * *

١٣ — الختام ..

ضحك مدير المخابرات العامة المصرية ، وهو يقرأ الكلمات الأخيرة فى تقرير (أدهم صبرى) ، عن عملية (مخلب الشيطان) ، وقال وهو ينحّى أوراق التقرير جانبًا :

— إذن فقد استخدمت أسلوب الحُوَاة فى الحصول على الميكروفيلم يا (ن — ١) .

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

— إنه أمر هيِّن يا سيِّدى .. لقد أدرت المخلب ، وأسقطت الميكروفيلم فى راحتى ، ثم أعدت إغلاقه ، وناولته لـ (سونيا) .

ضحك مدير المخابرات ، وهو يقول :

— هكذا بكل بساطة ..

ثم أردف وهو يتأمل (أدهم) :

— لقد تصرَّفت كأمهر الحُواة يا (ن ـ ١) ، وهذه براعة لم نلقّنكم إيّاها فى أروقتنا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— يمكنك أن تقول إنها هواية يا سيّدى .

صمت مدير المخابرات لحظة وهو يتشاغل بترتيب أوراقه ، ثم رفع رأسه إلى (أدهم) ، وسأله :

— لماذا صرحت لقائد سجن (سنج سنج) بهويّتك يا (ن ـ ١) ؟

هزّ (أدهم) رأسه ، وقال فى هدوء :

— لقد أسعدنى نجاح محاولة الهروب ـ حينذاك ـ وأردت استغلالها ؛ لإثبات قوة وقدرة مخابراتنا .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

— قلبى يحدّثنى أنه يومًا ما ستثير أزمة ديبلوماسية عنيفة ، بسبب رغباتك الهوجاء هذه يا (ن ـ ١) .

ثم ابتسم وهو يردف :

— ولكن هذا لايمنع أنك أبرع رجل مخابرات فى العالم أجمع .

* * *

صافح (إميل) (أدهم) فى حرارة ، وقال :

— شكرًا لك يا سيّدى ، فلولا أنت لقضيت عمرى بأكمله بين جدران (سنج سنج) .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— من يدرى ؟.. ربما كنت سندًا لك هناك .

قال (إميل) وهو ينصرف :

— لن أنسى هذا الجميل ما حييت يا سيّدى .

لم يكد (إميل) ينصرف ، حتى التفت (أدهم) إلى (منى) ، وقال وهو يبتسم فى خبث :

— والآن يا عزيزتى (منى) .. هيّا نتمّ حديثنا الذى قاطعته (سونيا جراهام) .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تقول :

— أى حديث هذا ؟

ابتسم (أدهم) في حنان ، وقال :
ــ لقد كنت أعرض عليك الزواج حينئذ .
ازدادت حمرة الخجل في وجنتيها ، وهي تقول :
ــ وبمَ أجبتك أنا وقتئذ ؟
ضحك وهو يقول :
ــ لم أتلقَ جوابًا حتى الآن .
صمتت ، وظهرت الحَيْرة على وجهها ، فاقترب منها وسألها هامسًا :
ــ أمازلت متردِّدة ؟
أجابته بعينين دامعتين :
ــ صدِّقني يا (أدهم) .. لست أرفض رجلًا مثلك ، بل إنني أتمنَّى زواجي منك ، ولكنني أخشى هذا للغاية ، جزء ما في داخلي يخشى ارتباطي بك ، فنحن الآن نواجه الموت في كل خطوة دون أن نحمل سوى أرواحنا ، أمَّا إذا ما تزوَّجنا وأنجبنا ، فلن أجرؤ على المخاطرة بحياتي ، ولن أحتمل مخاطرتك بنفسك ، فإمَّا أن تتوقف عن هذا النوع من الحياة أو ....

قاطعها (أدهم) في صرامة :
ــ كلَّا يا عزيزتي .. إنني أيضًا أتمنَّى الزواج منك ، ولكنك ستتزوَّجينني كما أنا ، بنفس الحياة التي أحياها ، إمَّا هذا ، أو لا ....
تفجَّرت عينا (منى) بالدموع ، وأطرقت برأسها ، على حين غادر (أدهم) الحجرة وأغلق الباب خلفه ، ولم يسمعها وهي تغمغم :
ــ لن أحتمل فقدك ، صدِّقني يا (رجل المستحيل) .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩